أثر حركة التجارة في دعم العلاقات الثقافية بين بغداد وبلاد المشرق الإسلامي في العصر العباسي

إعـــداد

دكتور / إسماعيل أحمد الدردير عبداللاه
قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بأسيوط

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وبعد ،،،،،

شهد العصر العباسي وجود حركة تجارية ضخمة سادت أقاليم الدولة المختلفة شرقاً وغرباً ، وكان لبغداد (عاصمة الدولة ومركز الحكم) الدور البارز في ذلك ، حيث ظهر اهتمام الخلفاء العباسيين منذ تأسيسها بأن تكون عاصمة للتجارة العالمية ، فكان الحرص على أن يكون ضمن المخطط المعماري لهذه المدينة أماكن خاصة لسكنى هؤلاء التجار ، وأماكن أخرى محددة ومعروفة لعرض السلع والبضائع التجارية التي يجلبونها من بلادهم.

وقد ساعد على ذلك الموقع الجغرافي الذي اختير لإقامة المدينة ؛ حيث سهل وصول القوافل التجارية إليها عن طريق البر أو البحر ، بعد أن تم شق العديد من الطرق التي تصلها بالبلدان الأخرى ، وتوفير المرافق عليها لخدمة هؤلاء التجار ، بالإضافة إلى توفير عنصر الأمن .. إلخ . فجذبت أنظار التجار إليها من بلاد المشرق ، سواء لبيع تجارتهم بها ، أو لجعلها محطة تنقل بعدها بضائعهم إلى البلاد التابعة للخلافة غرباً أو بلاد أوروبا .

وإذا كان من المعلوم أن أعمار الأمم وحضاراتها تقاس بما أنجزته من إبداعات ومبتكرات ، وبما فيها من علماء ومبدعين في مختلف العلوم وأنواع المعرفة . ففي نفس الوقت قد شهد هذا العصر – أيضاً – نهضة ثقافية كبيرة يندر حدوثها في أي دولة من الدول .وإن كان العصر الأُموي سبقه في نشأة بعض العلوم ، فهو – أي العصر العباسي – في الحقيقة العصر الذي شهد ظهور وتدوين العلوم المختلفة ، من حديث وتفسير وعلوم اللغة والطب والرياضيات وغيرها . مما يجعل الإنسان مندهشا من ذلك

التراكم المعرفي والتطور العلمي الذي شهدته الحضارة الإسلامية في كل فروع المعارف والعلوم .

وفي الحقيقة أن العلاقة بين التجارة والثقافة وثيقة الصلة من عدة نواح ، فمعرفة الإنسان للكتابة يمكن عزوها إلى أنها نتيجة من نتائج التجارة، بل تعد إحدى وسائل التجارة المسهلة والميسرة لها . والتجارة تعمل على مزج لغات الناس وعاداتهم وفنونهم أثناء سيرهم في طرقها الرئيسة ، فيكتسب الإنسان ثقافة وفكراً جديداً من خلال اطلاعه على حضارة الآخرين ، وينقلها بعد عودته إلى بلده ؛ فيكون بذلك قد ساهم في نقل حضارات أخرى إلى مناطق مختلفة ، و إذا ما ربطت التجارة بين طائفة من الناس ، نشأت بينهم علاقات لا تعتمد على القرابة ؛ بل تعتمد على ما بين الناس من اتصال وفكر ثقافي .

وإذا كان التزود بالفكر والثقافة يعد ترفاً في بيئات معينة فإن ذلك يعد ضرورة لا غنى عنها في مجتمع يعمل بالتجارة ؛ لأن وجود التجارة يفرض وجود العلوم والمعارف ، لتلبية حاجات الإنسان اليومية ، فيما يعرض له من مسائل فقهية ومالية متصلة بأمر تجارته . ومن هذا المنطلق فإن تقدم التجارة يفرض ــ أيضاً ــ في ذات الوقت تقدم العلوم والمعارف .

كذلك يمكن استخدام الثروة الناتجة عن طريق التجارة لتنمية وتطوير الحركة الفكرية والأدبية ، من خلال إغداق الهبات والأموال على العلماء والراغبين في العلم ، وبناء المؤسسات التعليمية الخاصة بذلك . ومن العوامل ذات الصلة أن الورق أو الكاغد وغيرهما من الأدوات التي استخدمت في الكتابة كانت تنقل عن طريق التجارة من الأقاليم التي اشتهرت بصناعتها إلى الأقاليم الأخرى التي لا تعرف ذلك ، أو التي لا تجود فيها زراعة النباتات الخاصة بصناعة الورق . كذلك لابد أن تكون الثروة التجارية مصحوبة

بثقافة معينة تتناسب معها وتعمل على تنميتها ، وعليه فالمال مهم للنهوض بالعلم .

وقد وجد في هذا العصر بعض الأشخاص الذين شغلتهم التجارة ، وما تتطلبه من كثرة الترحال لكنهم مع ذلك لم يهملوا أمر العلم وحرصوا في ترحالهم على التزود بقدر منه ، ونقلوا ذلك إلى أبنائهم من بعدهم . فحرصوا على تعليمهم لدى كبار علماء عصرهم ، وحرص الكثير منهم على السفر إلى أكثر من بلد لتلقى العلم عن علمائها . ووجد في الوقت نفسه جماعة من العلماء كانوا يحرصون على تحصيل قدر معين من الثروة ، مع أن نشاطهم الأصيل هو العلم . فأثرت المدن بفضل انتشار التجارة ، وازدانت بالعلماء والمفكرين ، وأصبحت مراكز للعلوم الدين والأدب والفلسفة تنافس بعضها البعض . ونمت التجارة نمواً جعل الانفصال بين هذه المدن أمراً يكاد يكون صعباً ومستحيلاً .

من أجل ذلك يحاول هذا البحث التركيز بصفة خاصة علي التجارة ومدى إسهامها في هذه الحركة الفكرية من خلال أسئلة معينة يمكن طرحها، هي : ما مدى العلاقة بين الخلافة العباسية في بغداد والدول التي انفصلت عنها في بلاد المشرق الإسلامي ؟ وهل أوجدت الحركة التجارية بينهما قدراً من الاتصال في المجال التجاري و الثقافي ؟ ومدى مساهمة التجار فيهما ؟ وهل تأثرت الحركة التجارية والثقافية بالاضطراب الذي حدث في الأوضاع الداخلية نتيجة تحكم بعض العناصر الأجنبية كالأتراك وغيرهم في الخلفاء ، وإدارتهم لأمور الدولة كما يشاءون في بعض الفترات ؟ وهل وجد من العلماء سواء في بغداد أو بلاد المشرق من حرص على العمل بالتجارة حتى يغني نفسه من اللجوء إلى أبواب الخلفاء والوزراء والأمراء ؟ ..كل هذه الأسئلة وغيرها يحاول هذا البحث الإجابة عنها في الصفحات التالية .

مراعاة البعد الاقتصادي عند تأسيس العاصمة بغداد :

عندما تولى أبو جعفر المنصور ثاني الخلفاء العباسيين (١٣٦ ـــ ١٥٨هـ / ٧٥٣ ـ ٧٧٤م) الخلافة فكر في اتخاذ عاصمة تصلح لأن تكون مقراً لحكمه ، فبعث من يبحث له عن موضع يصلح لبناء مدينة عليه ، فكان الرأي باختيار موقع بغداد ، لعدة أسباب، منها : موقعها على شاطئ نهر دجلة الذي قد يجعل منها مقصداً لسائر أنواع البضائع من السلع المختلفة ، من بلاد الهند والصين وأرمينيا وأذربيجان .. سواء عن طريق البر أو البحر، بالإضافة إلى سعة مساحتها ، فإن هذا المكان يمكنه استيعاب العدد الضخم من الجنود الذين وجدوا في الدولة وتشكل منهم الجيش العباسي خلال تلك الفترة ، فأعجب المنصور بهذا الرأي واستحسنه[١] . وقد استغرق وقت إنشائها مدة زمنية تقدر بأربع سنوات ، حيث بدأ العمل بها في سنة (١٤٥هـ/٧٦٢م) ، وانتهى منها في سنة (١٤٩هـ / ٧٦٦م) . [٢]

استعان أبو جعفر في تنفيذ هذه المهمة بكبار رجال عصره ممن هم من أهل الفقه والعدالة والأمانة والمعرفة بالهندسة ، وكان فيهم أبو حنيفة النعمان بن ثابت والحجاج بن أرطاة ... وغيرهما .[٣] ويذكر أنه جعل لها أربعة أبواب رئيسة ، فكان القاصد إليها من الشرق يدخل من باب خراسان ، والقاصد من بلاد الحجاز يدخل من باب الكوفة ، والقاصد من المغرب يدخل

---

(١) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣١٤ ، دار صادر ، بيروت ، ب ت .

(٢) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٢١ ، تحقيق : غازي طليمات ، ط وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ،١٩٨٠م .

(٣) المقدسي : المصدر السابق ، ص١٢٠ ، ١٢١ ، الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، ص١١٠ ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت ، ١٩٨٠م

من باب الشام ، والقاصد من بلاد فارس والأهواز وواسط والبصرة واليمامة والبحرين يدخل من باب البصرة . [٤]

ومهما يكن الأمر ؛ فالواضح أن السبب الرئيس الذي روعي في اختيار موقع المدينة هو : سهولة وصول السفن التجارية إليها ؛ حتى تكون مقصداً للتجارة العالمية .

كان من الضروري أن يراعي أبو جعفر المنصور عند التخطيط لمدينة يراد لها هذه الصفة ـ وقت إنشائها ـ وضعية التجار فيها ، من حيث سكناهم ، والعناية بأمر أسواقهم . فعلى سبيل المثال : وجد تجاه باب المدينة المعروف بباب البصرة ما يسمى بـ " القنطرة الجديدة " ،[٥]وقد كان يقام عليها سوق كبيرة ، فيها سائر أنواع السلع التجارية ، لكن الأكثرية منهم في ذلك الوقت كانوا من الوراقين وتجار الكتب . ومما يوضح حجم هذه التجارة في بغداد خلال ذلك العصر أن عدد الحوانيت المخصصة لأصحاب هذه الحرفة من الوراقين قد بلغ أكثر من (١٠٠) حانوت.[٦]أما من حيث إقامة هؤلاء التجار في المدينة . فعلى سبيل المثال : كان يسكن التجار الخراسانيون من بائعي الأقمشة ..وغيرها من الأصناف التي تستورد من تلك البلاد في أماكن مخصصة لهم ، منها المنطقة التي تقع على نهر الدجاج .[٧] .

---

[٤] ياقوت : معجم البلدان١ / ٤٥٩، دار الفكر ، بيروت، ب ت.وانظر الملاحق الواردة في نهاية البحث شكل رقم (١).

[٥] سميت بهذا الاسم لأنها آخر ما بني من القناطر في المدينة .

[٦] اليعقوبي : كتاب البلدان ، ص١٧ ، ط ليدن ، ١٨٩٠م .

[٧] سمي بهذا الاسم ؛ لأنه كان يباع عليه الدجاج في ذلك الوقت . اليعقوبي: المصدر السابق ، ص١٨.

وأيضاً كان في آخر قطيعة الربيع [٨] من ناحيـــة الجنـــوب توجـد منـــازل أخرى للتجار، كما كان كل درب يـسمى بجنـسية مـن يـسكنه . [٩] فمـثلاً أهـل بلخ، و مرو ، وبخارى ، وأهل خوارزم كان مقـر إقـامتهم فـي ربـض[١٠]حـرب بن عبد الله البلخي . [١١]

خلاصة القول : أنه كان لكـل تجـارة شـوارع معلومـة ، وصـفوف فـي تلك الشوارع ، وحوانيت ، ولا تخـتلط تجـارة بتجـارة ، ولا يبـاع صـنف مـع غير صنفه ، كما لا يختلط أصحاب المهن المختلفة بغيـرهم ، فكانـت كـل سـوق خاصة بسلعة معينة ، وكل أهل سلعة منفردين بتجارتهم . [١٢]

ما لبثت أن قصدت البضائع التجارية بغـداد بـراً وبحـراً ؛ وحملـت إليهـا أنواع لتجـارات المختلفـة مـن المـشرق والمغـرب ، ومـن الـبلاد الإسـلامية المجاورة وغيرها. فعلى سبيل لمثـال : كـان هنـاك تجـار مـن بـلاد الفـرس، والهند،والسند،والصين،والتبت،والترك،والديلم،والخزر،والحبـشة .. إلـخ؛[١٣]فـلا يوجد بلد إلا ولأهلها فيـها " محلة ، ومتجر ومتصرف ".

---

[٨] بني المنصور المـدينة في الجانب الغـربي ، وجعـل حـولها القطـائع لحـاشيته ومواليـه منهـا باسم من ينزله ويسكن به ، وذلك مثل قطيعة الربيع ، فهي منسوبة إلى الربيـع بـن يـونس حاجـب المنـصور ومـولاه وهو والد الفضل وزير المنصور أيـضـاً . انظـر عـن ذلـك الاصـطخرى:المـسالك والممالـك،ص٥٨، القـاهرة ، ٢٠٠٢م . ياقوت : المصدر السابق ٣٧٧/٤ .

[٩] انظر عن هذه السكك والدروب بتفصيل في:اليعقوبي:المصدر السابق،ص ١١وما بعدها.

[١٠] الرُبْض : أساس المدينة ، والرَّبَض:هو ما حولها ، ويجمعا على أربـاض.ابـن سـيده: المخـصـص ٥٠٥/١، و١٧٨/٣،تحقيق:خليل إبراهيم جفال،الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٩٩٦م .والمقصود من ذلـك أنه كانت توجد في المدينة أحد المناطق التي عرفت بهذا الاسم، وهي نسبة إلى حرب بن عبـد الله مـولى الخليفـة المنصور .

[١١] اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٢١.

[١٢] اليعقوبي : المصدر السابق ، ص١٨.

[١٣] ابن الفقيه: مختصر كتاب البلدان،ص ١٣ ، ط ليدن ، ١٨٨٥م .الحميري :المصدر السابق ، ص ١١١.

ومما يدل على مقدار هذه الحركة التجارية : أن كانت الكمية من الصنف الواحد التي توجد في بغداد ، أكثر مما في البلد المصدر منه ، فـ " كأنما سيقت إليها خيرات الأرض ؛ وجمعت فيها ذخائر الدنيا " .[١٤]

لقد غطت المدينة على ما اتصفت به دمشق من مفاخر في العصر الأُموي، فأصبحت قاعدة الخلافة العباسية،وعلا شأن إقليم العراق فصار قلب الدولة الإسلامية ومركزها ،[١٥]بل واكتسبت المدينة صفة " العالمية " في التجارة ؛ فمدينة سكنتها كل الجنسيات السابقة تصلح لأن يطلق عليها هذه الصفة ، يضاف إلى ذلك أن كل هذه العناصر لم تسكن بغداد بتجارتها فقط ، بل بثقافاتها وعلمها ، فهي ــ أيضاً ــ مدينة " عالمية الثقافة " .

ظلت بغداد عاصمة الدولة العباسية حتى آخر خلفائها،وأخذت تزهو على عواصم الدنيا بما جمعت من فنون العلم والأدب ، وما اجتمع فيها من العلماء والأدباء والشعراء . ففي مدارسها أفصحت العقول عن عبقريات نادرة وفي ربوعها انطلقت ألسنة الشعراء عن أعذب الشعر وأرقه .

مدى تأثر الأوضاع الحضارية في بلاد المشرق عند انفصالها عن الخلافة العباسية :

مرت الدولة العباسية وبصفة خاصة عاصمتها بغداد بفترة من الاضطرابات والحروب الداخلية التي وقعت بعد وفاة هارون الرشيد سنة (١٩٣هـ / ٨٠٨م) بين الأخوين (الأمين والمأمون) من سنة(١٩٣هـ/ ٨٠٨م) إلى سنة (١٩٨هـ / ٨١٣م) ، وكذلك نقل عاصمة الخلافة إلى سامراء في الفترة من سنة (٢٢١هـ / ٨٣٦م) ، وحتى سنة(٢٧٩هـ/

---

[١٤] اليعقوبي : المصدر السابق ، ص ٤ .

[١٥] كي لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٢ ، ترجمة : بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٥م.

٨٩٢م). [١٦] وبعد مقتل الخليفة المتوكل في سنة (٢٤٧هـ / ٨٦١م)،[١٧] والحادث الأخير كان له الأثر الأكبر في إظهار ضعف الخلفاء العباسيين،وضياع هيبتهم ، وزيادة نفوذ الأعاجم وتدخلهم في شئون الحكم ، فاستغل كل والٍ على إقليم من الأقاليم تلك الظروف ، فانفصل بحكم إقليمه أو ولايته،مما ترتب على ذلك انقسام الدولة الواحدة إلى عدة أقاليم أو دويلات صغيرة،فعلى سبيل المثال : صارت فارس والري وأصبهان والجبل في أيدي بني بويه،[١٨]وطبرستان في أيدي الديالمة، والموصل وبعض المدن التابعة لها تحت حكم الحمدانيين ... إلخ ،ولم يتبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها.[١٩] لكن الرابط الذي يربطه بهذه الأقاليم والمدن هو السيادة الروحية ، والدعاء له على المنابر . [٢٠]

وعلى الرغم من هذا الانقسام والتشرذم ، فقد صارت كل هذه الأقاليم تؤلف مملكة واحدة سماها المؤرخون بـ" مملكة الإسلام " ، [٢١] وقامت

---

(١٦) لسترانج : المرجع السابق ، ص٥٠ .

(١٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦ / ١٣٦ ، تحقيق: عبد الله القاضي ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م .

(١٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٥ / ٣٦ ، تحقيق:د/ عمر عبد السلام تدمري،الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت ، ١٩٨٧م .السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص٤١٧،دار الثقافة، بيروت ، ب ت .

(١٩) ابن الأثير : المصدر السابق ٧ / ١٢٣ .

(٢٠) انظر على سبيل المثال : ابن كثير : البداية والنهاية ٣٠١/١١ ، ٣٢٧/١٢ ، ١٨٨/١٣،الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٨م. السيوطي : المصدر السابق ، ص ٣٤٥. آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ١ / ١٩، ترجمة : محمد عبد الهادي أبو ريدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨م.

(٢١) ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص٦٣.المقدسي : المصدر السابق ، ص٩١ ، ٩٢ .

وحدة إسلامية لا تتقيد بالحدود التي فرضتها الظروف الجغرافية والسياسية. وكان المسلم يستطيع أن يسافر داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت كنفه ، فإنهم يعبدون إلهاً واحداً ، ويصلون صلاة واحدة ، ويتبعون شريعة واحدة . [٢٢]

ومما هو جدير بالذكر أنه لم يترتب على هذا الانقسام تدهور الأحوال الحضارية في تلك البلاد ، بل على العكس ، فإن الأقطار الإسلامية ومنها بلاد المشرق كانت بعد انفصالها عن الخلافة في بغداد " منيعة الجانب ، وافرة العدة ، عظيمة الخيرات " .[٢٣] فالذي حدث أن هذه الأقاليم عندما انفصلت عن الدولة العباسية أصبحت مستقلة في أموالها لا ترسلها إلى بغداد ، فلما توافرت لديها هذه الأموال تنافست مع بغداد في تجميل موطنها بالعلماء والأدباء ؛ ليكونوا محل فخر لديهم ، فأغدقوا الهبات على العلماء ، وقربوهم إليهم، والعلم دائماً يتأثر بالمال . [٢٤]

كانت البلاد التي تقع شرقي العراق تسمى بـ" العراق العجمي "، [٢٥] تمييزاً لها عن عراق العرب ، وقد تم اختيار لفظ " العجم" ـ أي الأجانب ـ وهو الذي تم اختياره؛ لأن الفرس كانوا أول أجانب صارت لهم علاقة بالعرب، فالتصقت هذه التسمية ببلاد الفرس .[٢٦] ويستبعد بعض العلماء هذه

---

[٢٢] متز : المرجع السابق ١ / ٢١ .

[٢٣] د / محمد جمال الدين سرور:تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق،ص٤ ،دار الفكر العربي ، القاهرة ، ب ت .

[٢٤] أحمد أمين:ظهر الإسلام ٢ / ٢، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٧م.

[٢٥] الحميري : المصدر السابق ، ص ٥٩٦ .

[٢٦] لسترانج : المرجع السابق ، ص١٨ : ٢٢ .

التسمية . ويرون أن الاسم الصحيح هو " إقليم الجبال " ، [٢٧] ومهما يكن الأمر فإن البلاد الواقعة في هذه الجهة تفرعت إلى عدة أجزاء مستقلة إما بسبب الخصائص الجغرافية أو غيرها ، ويدخل في نطاق كل جزء منها العديد من المدن والبلدان ، فعلى سبيل المثال : إقليم خوزستان الذي يقع على جانبي المجرى الأسفل لنهر دجيل ، كان من أهم مدنه تستر ، والأهواز.وإقليم فارس ، كان من أعظم مدنه شيراز ، واصطخر.وإقليم سجستان،كانت زرنج من أشهر مدنه . وإقليم خراسان قسم إلى أربعة، وكل ربع عرف باسم " قصبة " هي : نيسابور،ومرو،وهراة،وبلخ . [٢٨]

الحركة التجارية بين بغداد وبلاد المشرق الإسلامي :

ربطت بغداد عاصمة الخلافة ــ وهي المركز بالنسبة لبقية البلاد ــ بالأقاليم الأخرى شبكة كبيرة من الطرق التي تشعبت في كل اتجاه ، منها ما هو رئيس ومنها ما هو متفرع من غيره .

فالطرق الرئيسة هي أربعة طرق : أحدها جنوباً إلى الكوفة ، والثاني شمالاً وهو طريق بلاد الجزيرة ، أما الثالث فهو طريق الغرب ، وهو الطريق المتجه إلى الأنبار . والطريق الأخير هو طريق خراسان . [٢٩]

---

[٢٧] ياقوت : المصدر السابق ٩٩/٢. لسترانج : المرجع السابق ، ص١٨ .

[٢٨] الاصطخرى : المصدر السابق ، ص٦١ ، ٦٧ .المقدسي:المصدر السابق ، ص٢٦٠.لسترانج: المرجع السابق ، ص٥٠.وسميت بهذا الاسم لأنه لا يوجد بفارس بلد إلا و يوجد به جبل .

[٢٩] للمزيد عن هذه الطرق يراجع : اليعقوبي : المصدر السابق ، ص٤٤ وما بعدها . متز : المرجع السابق ٣٠٣/٢ وما بعدها . هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى ٤٥/١ وما بعدها ، ترجمة : أحمد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م. وانظر الخريطة الملحقة بالبحث شكل رقم (٢) .

ولا يتسع المقام لسرد كل التفاصيل المتصلة بهذه الطرق ، لكن الذي يعنينا بالدرجة الأولى منها هو طريق خراسان المتصل ببلاد المشرق الإسلامي ، لعاملين أساسيين : هما دوره في حركة التجارة بين بغداد والبلاد الواقعة عليه وهو محل البحث ، بالإضافة إلى أنه الطريق الذي يسلكه الحجاج من أقاصي الشرق عابرين نهر دجلة ، وهم ميممون وجوههم شطر الحجاز لأداء تلك الفريضة .[٣٠] يبدأ هذا الطريق من باب خراسان في بغداد، ويعبر قنطرة النهروان ، ثم يسير وراء حلوان في منطقة جبلية صعوداً وهبوطاً حتى يصل إلى همذان ، ثم يستمر حتى الري ، ونيسابور، ثم مرو ، التي يعبر عندها نهر جيحون عند " آمل " ،[٣١] ويواصل سيره حتى بخارى ، ثم سمرقند ، ثم يستمر بعد ذلك حتى حدود بلاد الصين . [٣٢]

وقد وجدت العديد من الطرق الداخلية التي تشعبت من المدن الكبرى التي تقع على هذا الطريق ، فكانت تمتد يساراً ويميناً ، منها : ما كان يخرج من همذان نحو الجنوب الشرقي متجهاً إلى أصفهان ، وما كان يخرج من الري نحو الشمال الغربي إلى زنجان ،[٣٣] وكذلك كان الحال في نيسابور ومرو وبخارى .. وغيرها ، وقد تفرعت من هذه الطرق الفرعية طرقاً

---

[٣٠] لسترانج : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

[٣١] ما وراء النهر يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان فما كان في شرقيه يقال له بلاد الهياطلة وهم أعدى أعداء الدولة الساسانية في (ق ٥) الميلادي . وما كان في غربيه فهو خراسان وولاية خوارزم ، أي أن هذا النهر كان يعد الحد الفاصل بين الأقوام الناطقة بالفارسية والتركية أي إيران وتوران . ياقوت : المصدر السابق ٥/٤٥. لسترانج : المرجع السابق ، ص ٤٧٦ .

[٣٢] متز:المرجع السابق ٢ / ٣٠٤ .

[٣٣] زنجان : بلدة مشهورة في منطقة الديلم وطبرستان ، تقع غربي أذربيجان .ياقوت:معجم البلدان ١٥٢/٣.

فرعية أصغر ... [٣٤]

اهتمت الدولة الإسلامية بأمر هذه الطرق المتصلة ببلاد المشرق التي تعد من العوامل الأساسية في وجود حركة تجارية قوية . ومن مظاهر هذا الاهتمام ، أن كان يتم جعلها من ضمن المهام التي يكلف قاضي القضاة بالنظر في أمورها فهي من اختصاصات وظيفته ؛ لذلك كان يتم ذكرها في كتاب العهد الذي يكلف بمقتضاه بمباشرة أعماله .

ففي سنة (٣٦٣هـ / ٩٧٣م) عندما قلد المطيع لله (٣٤٣ ـ ٣٦٣هـ / ٩٤٥ ـ ٩٧٣م) القضاء لأبى الحسن محمد بن أم شيبان الهاشمي ، كان مما كتبه له في صورة العهد بهذه الوظيفة :

" هذا ما عهد به عبد الله الفضل المطيع لله أمير المؤمنين إلى محمد صالح الهاشمي حين دعاه إلى ما يتولاه من القضاء بين: أهل مدينة السلام (مدينة المنصور) ، والمدينة الشرقية من الجانب الشرقي والجانب الغربي ، والكوفة ، وسقى الفرات ، وواسط ، وكرخى ، وطريق الفرات ودجلة ، وطريق خراسان وحلوان وقرميسين ، وديار مضر وديار ربيعة وديار بكر والموصل ، والحرمين ، واليمن ، ودمشق ، وحمص ، وجند قنسرين ، والعواصم ومصر والإسكندرية وجند فلسطين والأردن وأعمال ذلك كلها ومن

[٣٤] لسترانج : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

يجري من ذلك ... " . [٣٥]

ولاشك أن اهتمام الخلافة العباسية بتمهيد الطرق وتيسيرها ترتب عليه نشاط حركة التجارة بين بغداد وبلاد المشرق الإسلامي ، فأخذت القوافل التجارية تجوب الطرق بينهما ذهاباً وإياباً .

ولم يأت القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي حتى أصبحت التجارة مظهراً من مظاهر أبهة الدولة الإسلامية ، وأخذت السفن الإسلامية تجوب كل البحار ، فاحتلت المكان الأول في التجارة العالمية ، وأصبحت المدن الإسلامية كبغداد وغيرها هي التي تتحكم في الأسعار والسلع في ذلك الوقت . [٣٦]

أخذت المتاجر تتنقل بين الشرق والغرب ، فمن بغداد خرجت القوافل إلى الرى ونيسابور ومرو وبخارى وسمرقند ، حاملة الأقمشة التي

---

[٣٥] السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٣٤. يقارن السيوطي بين منصب قاضي القضاة في العصر العباسي والعصر الذي عاش فيه ، فيذكر أن الخلفاء العباسيين كانوا يولون القاضي المقيم في عاصمة الحكم القضاء على جميع الأقاليم و البلاد التي تقع تحت ملكهم ، ثم يستنيب القاضي عنه من يشاء في كل إقليم و في كل بلد ؛ و لهذا كان يلقب بـ " قاضي القضاة"، وكان لا يلقب به إلا من هو بهذه الصفة . وأما غير ذلك من أهل الاختصاص ، فكان يلقب بـ " القاضي " فقط ، أو " قاضي بلد كذا " . لكن تغيرت الأوضاع بعد ذلك ، ففي عصره وهوعصر سلاطين المماليك ، حيث كان في البلد الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب بقاضي القضاة،وكانت الاختصاصات التي تناط بنائب القاضي في البلد الواحد في العصرالعباسي أضعاف ما كان في حكم الواحد من قاضي القضاة في عصره ، بل يذكر أن" قاضي القضاة [كان] إذ ذاك أوسع حكماً من سلاطين هذا الزمان " في إشارة لعصره. المصدر السابق،ص٤٣٥،٤٣٦.

[٣٦] متز : المرجع السابق ٢ / ٢٧٢ .

اشتهرت بها بلاد العراق كالموسلين ـ نسبة إلى بلاد الموصل ـ وغيرها من السلع التي اشتهرت بها ، والخيول العربية الأصيلة.[٣٧] والألوان المختلفة من ثياب الحرير ، والتمر بكل أنواعه .. وغير ذلك .[٣٨] ومن بلاد المشرق الإسلامي خرجت السفن التجارية حاملة " كنوز الشرق" إلى بغداد وأوروبا.[٣٩] فنجد كل مدينة من المدن تميزت بتصدير سلع معينة.فمن الري:حملت القوافل التجارية أنواعا من النسيج تعرف بـ "المنيرات "، والقطن ، [٤٠] والأمشاط .[٤١] ومن قزوين : بعض أنواع الأقمشة ، والنعناع . ومن قم : [٤٢] الكراسي، واللجم للخيل ، وبزور الزعفران . ومن همذان : الأجبان والزعفران وجلود الثعالب وغيرها من أنواع الفراء . [٤٣] ومن خوزستان : السكر . ومن الأهواز : أغطية الرأس من الحرير للنساء . ومن تستر : الفواكه وبصفة خاصة البطيخ الذي اشتهرت به . ومن السوس : قصب السكر : الذي جادت زراعته في تلك البلاد . [٤٤] ومن بلاد فارس : العطور وماء الورد بشتى أصنافه ، وكان يحمل إلى سائر البلاد كالهند

---

[٣٧] الجاحظ:التبصرة بالتجارة، ص ٦ ، ط بيروت ، ب ت. د/ سعيد عاشور:المدينة الإسلامية ص ٢٣ ، ٢٤، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

[٣٨] المقدسي:المصدر السابق، ص ١٢٤.وانظر عن السلع التي كانت تصدر من كل بلاد العراق . انظر : نفس المصدر ، ص ١٣٣،١٣٤.

[٣٩] هايد : المصدر السابق ٦٧/١.

[٤٠] المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٧٦ .

[٤١] القزويني : المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

[٤٢] قُمّ:كلمة فارسية،وهي مدينة بين أصبهان وساوة تقع شمالي قاشان.ياقوت : المصدر السابق ٤/ ٣٩٧.

[٤٣] المقدسي:المصدر السابق، ص٢٦٧ ، ٢٦٨ . الحميري : المصدر السابق ، ص٤٣ .

[٤٤] لسترانج : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ ، ٢٨١ .

والصين وخراسان والشام ومصر والمغرب . ومن جهرم : البسط والستور والمصليات . ومن كازرون :[45] ثياب الكتان والمناديل المخملة .[46] ومن جرجان : العنب والتين والزيتون ، ومن سمرقند الكاغد صاحب الدور الأبرز في نشر الحركة الثقافية من خلال تسهيل نقل العلوم والمعارف إلى مناطق مختلفة ... وغير ذلك من الأصناف .

كذلك كانت الأحجار النفيسة من بين موارد الثروة التي عني باستغلالها؛فاستخرج الفيروزج الأزرق من نيسابور.[47]واستخرجت الفضة من مدينة بنجهير في نواحي بلخ [48].والنحاس الأصفر الذي كان يستخدم في طلاء أعلى المنابر من بخارى وأصفهان[49]..وغير ذلك من أصناف السلع التي يضيق المقام عن سردها .[50]

وفي الحقيقة أن الاهتمام الذي لقيته التجارة خلال هذا العصر من الدولة الإسلامية ، ظهرت آثاره في العصور التالية . وظلت التجارة الإسلامية هي المسيطرة على البحر المتوسط إلى أيام الحروب الصليبية ، وانتزعت كذلك السيطرة على البحر الأحمر ، وتجاوزت بحر الخرز إلى

---

[45] كازرون : مدينة بفارس بين البحر وشيراز .ياقوت : المصدر السابق ٤٢٩/٤.

[46] ياقوت الحموي:المصدر السابق ٤٢٩/٤.لسترانج:المرجع السابق ص٣٣٠ ، ٣٣١ .

[47] د / محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية في الشرق ، ص١٣٥ .

[48] متز : المرجع السابق ٢ / ٢٣٦ .

[49] متز : المرجع السابق ٢ / ٢٣٧ .

[50] انظر بتفصيل أكثر : القائمة التي ذكرها الجاحظ عن السلع التي كان يجلبها تجارالمشرق ، في كتابه : التبصرة بالتجارة ، ص ٦،٧ .ابن الفقيه:المصدرالسابق، ص٢٥١ :٢٥٥ . لسترانج : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ وما بعدها .متز:المرجع السابق ص ٢٣٦ وما بعدها. هايد : المرجع السابق ٥٥/١ وما بعدها .

منغوليا، وصعدت في نهر الفولجا من أستراخان إلى نوفجرود ؛ وفنلندة ، واسكنديناوة ، وألمانيا حيث تركت هناك آلافاً من قطع النقود الإسلامية عثر عليها فيما بعد . ووصل هذا النشاط التجاري ذروته في جميع أنحاء البلاد . في الوقت الذي كانت فيه أحوال أوروبا آخذة في التدهور إلى الدرك الأسفل، وحتى عندما اضمحلت هذه التجارة بقيت آثارها واضحة في كثير من اللغات الأوربية . (٥١)

وهكذا يتضح أنه كان للتجار نشاط بارز في عمليات الاستيراد والتصدير بين بغداد وبلاد المشرق الإسلامي ، وبذلك حافظ هؤلاء التجار على استمرار العلاقات الاقتصادية بين الخلافة العباسية والأقاليم والبلاد التابعة لها في تلك الجهات .

أثر التجارة في انتشار الحركة الثقافية :

مما لاشك فيه أنه كان لاشتغال الناس في ذلك العصر بالتجارة أثر كبير في حياتهم سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية ، فمن الناحية الاقتصادية مثلت التجارة مصدر ثراء واسع لعدد غير محدود من الناس وعائلاتهم . (٥٢)

ومن الناحية الاجتماعية : ساعدت التجارة في خلق نهضة ثقافية واسعة لم يشهدها المشرق الإسلامي من قبل ، فقلما كان يخلو ركب من التجار دون أن يصحبهم بعض العلماء الذين يطلبون العلم ، وبصفة خاصة " علم الحديث " ، كما غذت التجارة الفقهاء بالمسائل الدينية ، التي كانت تعرض للتجار ، ولم تكن معروفة من قبل كأنواع البيوع وغيرها . فنشط في

---

(٥١) ول ديورانت : قصة الحضارة ١٣/١١٠.

(٥٢) د / محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص١٩٥ ، ٢٤٣ .

المقابل العلماء والفقهاء في البحث والاجتهاد ؛ للوصول إلى رد مقنع لتلك الأسئلة التي كانت تطرح عليهم ، بل تعرضت الرحلات التجارية لإثارة مسائل تتعلق بأمور الدين من عبادات كالوضوء والصوم ... وغير ذلك . فعلى سبيل المثال : عندما رحل هؤلاء التجار إلى المناطق البعيدة شمالاً سألوا عن حكم الصيام في هذه البلاد ، وأوقات الصلوات ... وغيرها من الأمور .[٥٣]

وقد شجع الخلفاء هذا الاتجاه ، ونتيجة لذلك ظهرت العديد من المراكز الثقافية المهمة في كل أنحاء العالم الإسلامي ، ففي بلاد العراق ظهرت البصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والذي يخصنا في هذا البحث منها بغداد التي كانت عاصمة الخلافة ومركز الحكم بالنسبة للعالم الإسلامي ، وفي المشرق وجدت العديد من المدن ، مثل بخارى ، وسمرقند وغيرهما من البلاد التي تعلم أبناؤها على أيدي علماء بغداد ، وقد نافست هذه المراكز بغداد فيما بعد في هذه الحركة الفكرية الضخمة .

لقد وصلت بغداد في الناحية العلمية إلى مكانة قلّ أن تصل إليها أي مدينة أخرى في تلك الفترة ، وخير ما يؤكد ذلك أقوال الرحالة وشهود العيان . فقال المقدسي توفى في حدود (٤١٤هـ / ١٠٢٣م) تقريباً : عن بغداد " .. هواء رقيق وعلم دقيق " .[٥٤] وقال عنها الخطيب البغدادي ت سنة (٤٦٣هـ / ١٠٧٢م) : أنه مما يغتبط بذكره منها " كثرة العلماء والمتعلمين والفقهاء والمتفقهين ورؤساء المتكلمين وسادة الحساب والنحوية ومجيدي الشعراء ورواة الأخبار والأنساب وفنون الآداب .." ،[٥٥] وقال

[٥٣] أحمد أمين : المرجع السابق ٢ / ٢٤٣ .

[٥٤] المقدسي أحسن التقاسيم ص ١١٨ .

[٥٥] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ١ / ٥١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب ت .

عنها ابن الوردي ت سنة (٧٤٩هـ / ١٣٤٩م) : " وكان بها من العلماء والوزراء والفضلاء والرؤساء والسادات ما لا يوصف .." . [٥٦]

وكما سبق القول بأن هذه الحركة التجارية الواسعة أحدثت تغيراً اقتصادياً واجتماعياً في حياة الناس خلال هذا العصر ، انعكست آثاره على الناحية الثقافية والعلمية ، فظهرت الحاجة إلى إعمال الفكر والرأي ، والعمل بشكل أكبر لاستخدام العلوم لخدمة حاجات الإنسان ، فنمت الحركة العلمية ، وبزغ نجم العديد من العلماء والفقهاء . مثل : محمد بن عمر الواقدي ت سنة (٢٠٥هـ/٨٢٠م) صاحب " المغازي " . وأحمد بن حنبل صاحب المذهب ت سنة (٢٤١هـ/ ٨٥٥م) ، وابن السكيت اللغوي والأديب ت سنة (٢٤٤هـ/٨٥٨م) صاحب " إصلاح المنطق " ، و" الأضداد " . وأبي جعفر محمد بن حبيب البغدادي ت سنة(٢٤٥هـ/٨٦٠م) صاحب " المحبر " ، و " مؤتلف القبائل ومختلفها " . وأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت سنة (٣١٠هـ/٩٢٣م) صاحب التفسير المعروف بـ " جامع البيان في تأويل القرآن " ، و" تاريخ الرسل والملوك " . والخطيب البغدادي ت سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٢م) صاحب " تاريخ بغداد " ، وابن الشجري ت سنة (٥٤٢هـ/١١٤٨م) صاحب " الأمالي " . وأبي البقاء العكبري ت سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) صاحب " التبيان في إعراب القرآن " ، و" إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن " .

ومن المتغيرات التي طرأت على بعض العلوم ، ومنها في علم الفقه، أن تميز الفقهاء وصاروا مستقلين عن غيرهم من العلماء ، فوجدنا أصحاب

---

[٥٦] انظر :القزويني :آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٣١٧ . ابن الوردي : خريدة العجائب وفريدة الغرائب،ص ٢٢،القاهرة ،ب ت .

الفكر فريقين ، إما فقهاء أو علماء ، وكانت غالبية طلبة العلم يقصدون الفقهاء ؛ لأنهم حملة علوم الشريعة والعبادات ، فمن كان يرغب في تولي القضاء أو الخطابة كان يقصدهم ليتتلمذ عليهم . [٥٧] نعم شُغل علماء بغداد .. وغيرها من الحواضر الإسلامية في القرنين (الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين) بنقل وترجمة العلوم الأجنبية إلى اللغة العربية ، لكنهم انصرفوا بعد ذلك في القرن الرابع إلى الإنتاج الشخصي ، ولم تقتصر عنايتهم على علم الفقه وفروعه المتصلة بمشاكل الناس ومعاملاتهم اليومية لتبيان أحكام الشرع فيها . وإنما اهتموا ـ أيضاً ـ بالعلوم الدينية الأخرى كالتفسير والحديث ، وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة ، زاد هذا الاتجاه وعمّقه العامل الديني ؛ لأن دراسة العلوم اللغوية كانت خير أداة لفهم الدين على الوجه الصحيح " . [٥٨]

يضاف إلى ذلك أن عناية الدولة الإسلامية واهتمام خلفائها في هذا العصر بتيسير كل السبل اللازمة لقيام الحركة التجارية من تمهيد للطرق وإقامة مراكز بها لخدمة المسافرين عليها ، أدى إلى كثرة الرحلات التي قام بها الكشافة والجغرافيون في شتى ربوع العالم الإسلامي ، وهذا الأمر كان ذا أثر كبير في ظهور فن من فنون الكتابة التاريخية برع فيه العلماء المسلمون، وهو " كتب الجغرافيا والرحلات "، حيث قاموا بتدوين ملاحظاتهم ومشاهداتهم في كتب وصلنا الكثير منها خلال هذا العصر .

أمثال : ابن رستة توفي سنة (٣٠٠هـ / ٩١٢م) تقريباً في كتابة " الأعلاق النفيسة " ، وابن خرداذبة (من علماء القرن٣هـ/٩م) في كتابه

---

[٥٧] متز : المرجع السابق ١ / ٢٧٦ ، ٢٨٤ .

[٥٨] د / محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص٢٠٣ .

" المسالك والممالك " ، وابن الفقيه الهمذاني (من علماء القرن ٣هـ/٩ م) أيضاً في كتابه " البلدان " ، واليعقوبي توفي بعد سنة (٢٩٢هـ/٩٠٥م) في كتابه " البلدان " ، والاصطخرى توفي سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) تقريباً في كتابة " مسالك الممالك " ، والمسعودي توفي سنة (٣٤٦هـ/٩٥٦م) وكتابيه " مروج الذهب ومعادن الجوهر " ، و " التنبيه والأشراف " ، وابن حوقل (من علماء القرن ٤هـ / ١٠م) وكتابه " المسالك والممالك " ، والمقدسي توفي في حدود سنة (٤١٤هـ/ ١٠٢٣م) في كتابه " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم " ، وناصر خسرو توفي سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) في كتابه " سفر نامه " ، والبيروني توفي سنة (٤٠٤هـ/١٠٤٨م) في كتابه " الآثار الباقية عن القرون الخالية " ، والبكري توفي سنة (٤٨٧هـ/١٠٩٤م) في كتابيه " الممالك " ، و " معجم ما استعجم" .. وغير ذلك .

ساعدت هذه الحركة التجارية ـ أيضاً ـ في إشاعة روح الاستقلال بين طبقة العلماء ، وجعلتهم يشعرون بأفضليتهم عن غيرهم من أبناء نفس الطبقة الذين لا يجدون رزقهم إلا بين يدي الأمراء والوزراء ، فالتاجر كان ينشأ صغيراً ويغامر حتى يكسب الكثير من المال . (٥٩)

تسابق الناس في هذا العصر من عرب وعجم ، صغاراً وكباراً من شتى أقاليم الدولة الإسلامية للأخذ من هذه الحركة النشيطة في مجال العلوم، فلم تقتصر على فئة بعينها ، وإنما شملت كل طبقات المجتمع الذين كان التجار يمثلون إحدى فئاته ، فسارعوا بتعليم أنفسهم وأبنائهم ، وقطعوا آلاف الأميال لتلقى العلم على يد عالم أو شيخ أو فقيه بزغ نجمه في محال تخصصه ، فظهرت في بلاد المشرق الإسلامي نهضة علمية وثقافية في

(٥٩) أحمد أمين : المرجع السابق ٢ / ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

العديد من العلوم والمعارف . وبعد أن كان البعض منهم طلاباً على علماء بغداد وغيرها من الحواضر الإسلامية ، صاروا أعمدة يرتكز عليهم في تخصصهم ، مثل أبي عبد الله البخاري ت سنة(٢٥٦هـ / ٨٧٠م) صاحب " الجامع الصحيح " ، وأبي بكر الرازي ت سنة(٣٢٠هـ / ٩٢٤م) صاحب " الحاوي " في الطب ، وأبي الحسن الدارقطني ت سنة (٣٨٥هـ / ٩٩٥م) صاحب السنن.وأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ت سنة(٤٠٥هـ/ ١٠١٥م) صاحب " المستدرك على الصحيحين " . وأبي حامد الغزالي ت سنة (٥٠٥هـ / ١١١١م) صاحب " إحياء علوم الدين " . وأبي الفتح الشهرستاني ت سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) صاحب" الملل والنحل " . والحسن الصاغاني ت سنة (٦٥٠هـ / ١٢٥٢م) إمام اللغة ، وصاحب " مجمع البحرين " ، و" الشوارد في اللغة " ، و" الأضداد " . والقزويني ت سنة (٦٨٢هـ / ١٢٨٣م) صاحب " آثار البلاد وأخبار العباد " .. وغيرهم الكثير .

- نماذج لهؤلاء التجار ممن كان لهم دور في الحركة الثقافية . أومن العلماء الذين اشتغلوا بالتجارة سواء في بغداد . أو بلاد المشرق الإسلامي :

(١) في بغداد :

ظهر في بغداد من كان يشتغل بالعلم إلى جانب عمله بالتجارة مثل: أبي علي أحمد بن الخليل التاجر ت سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) الذي كان يتاجر في الأقمشة ، تخرج على يديه العديد من العلماء . [٦٠] مثل : يعقوب

[٦٠] ابن النجار البغدادي : ذيل تاريخ بغداد٣/٨،٩،تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا،الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٩٧م.

ابن سفيان الفسوي وغيره . قال عنه السمعاني : " هو ثقة مأمون " . [٦١]

وأبي منصور محمد بن عبد العزيز المعروف بابن المغازلي [٦٢] ت سنة (٤٣٤هـ/١٠٤٢م) كان أحد التجار ميسوري الحال ، وثقه الخطيب البغدادي وقال عنه : " كتبت عنه وكان صدوقاً " . [٦٣] وأبي الحسن علي بن إبراهيم الناتلي[٦٤]،التاجر ت سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٣م) الذي كان يسكن بغداد في درب القيار ،[٦٥]وكان من أعيان التجار ، سافر إلى الشام ومصر وخراسان،وكان يعمل ببيع البز ــ أي القماش ــ في خان الخليفة ببغداد . [٦٦] فسمع الحديث في نيسابور من كثير من العلماء ، مثل : أبي المظفر موسى بن عمران الأنصاري ، وأبي بكر محمد بن أحمد الشيرازي ، وأبي الفضل محمد الصرام ، وأبي بكر محمد بن إسماعيل التفليسي .. وغيرهم .[٦٧] وأبي الفرج بن عبد المنعم بن كليب البغدادي ت سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م) الذي انفرد بالرواية عن جماعة من الشيوخ ، وكان من أعيان

---

[٦١] السمعاني : الأنساب ١/٤٤٠،٤٤١، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ،١٩٨٨م .
[٦٢] المَغَازِلي: هو الشخص الذي يقوم بنسج الخيوط التي يصنع منها القماش .
[٦٣] السمعاني : المصدر السابق ٥/٣٥١.
[٦٤] النَاتِلي: هذه النسبة إلى ناتل ، وهي بليدة بنواحي طبرستان ، بينها وبين آمل خمسة فراسخ . ياقوت : معجم البلدان ٥/٢٥٠.
[٦٥] يقع درب القيار في شرقي بغداد . ياقوت : المصدر السابق ٢/١٦٥.
[٦٦] والخَانُ : ما ينزله المسافرون والجمع (خَانَاتٌ) ، و (الخِوَانُ) ما يؤكل عليه . الفيومي: المصباح المنير ١/١٨٤ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ب ت .
[٦٧]ابن النجار البغدادي : المصدر السابق ٣/٨،٩. السمعاني : المصدر السابق ٥/٤٤١.

التجار وذوي الثروة .[٦٨]

وكان بعض العلماء قد قصر أمر تجارته وعلمه في نطاق مدينة بغداد فقط ، فلم يخرج إلى بلاد المشرق ، مثل : أبي طالب محمد بن بكير التاجر ، ت سنة (٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م) حيث كان من شيوخه أبي بكر بن مالك القطيعي ، وأبي مالك السبيعي ، وأبي محمد بن ماسي ، ومخلد بن جعفر الدقاق ، وأبي الفتح محمد بن الحسين الأزدي ..وغيرهم ، ومن تلاميذه الخطيب البغدادي ، الذي قال عنه : " كتبنا عنه وكان صدوقاً وسماعاته كلها بخط أبيه .." .[٦٩] وأبي عبد الرحمن سلمان بن جروان بن الحسين الماكسيني[٧٠] البوراني ت سنة (٥٤٤هـ/ ١١٤٩م) سكن ببغداد ، وسمع من علمائها ، كتب عنه السمعاني صاحب كتاب الأنساب في بغداد ، وكان يسمع منه العلم في جامع المنصور بها .[٧١]

(٢) في بلاد المشرق الإسلامي :

امتلأت بلاد المشرق بالعديد من العلماء الذين عملوا بالتجارة أو العكس من التجار الذين عملوا بالعلم ،ففي أصبهان ظهر أبو بكر عبد العزيز ابن أحمد بن علي التاجر ت سنة (٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) الذي كان من كبار التجار والعلماء ، تعلم على يد عبد الله بن خالد الرازاني ، وكان ينزل عنده

---

(٦٨) ابن كثير:البداية والنهاية ٢٩/١.

(٦٩) السمعاني:المصدر السابق ٤٤٠/١،٤٤١.

(٧٠) المَاكسِيني : هذه النسبة إلى ماكسين ، وهي مدينة من الجزيرة على شاطئ الفرات قريبة من رحبة مالك بن طرق بنواحي الرقة .البكري :معجم ما استعجم ٤٨٥/٢ ،تحقيق : مصطفى السقا ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٢م . ياقوت : المصدر السابق ٤٣/٥.

(٧١) السمعاني : المصدر السابق ١٧٥/٥.

إذا سافر إلى أصبهان.[٧٢] وأبو محمد عبد الله بن جابر بن الماهاني[٧٣] ت سنة (٣٨٩هـ/٩٩٨م) ، الذي كان والده من أعيان التجار الأصبهانيين ، وكان في أحدى أسفاره بنيسابور، فولد ابنه محمد بها ، فألحقه بالشيخ أبي الحسن البيهقي ثم بأبي علي بن أبي هريرة ، وتعلم من أبي علي الثقفي وغيرهم من أعيان الشيوخ بها ، وعندما شبّ عمره سافر إلى العراق وتعلم على يد أبي بكر المطيري وأقرانه ، ثم عاد إلى نيسابور ومكث بها فترة من الوقت ، ثم خرج منها مرة أخرى في طلب العلم مع الشيخ أبي بكر محمد بن إسحاق فتوجها أولاً إلى غزو بلاد الروم ، وبعد ذلك سافر إلى بغداد ، وعقد له مجلس الدرس بها .[٧٤]

ومن بُست[٧٥] خرج إلى بغداد أبو القاسم منصور بن محمد التاجر البستي ت سنة (٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م) كان من أمناء التجار بها ، سمع من أبي القاسم بن اليسع الأنطاكي وأبي القاسم موسى بن عيسى السراج وأبي الحسن علي بن عمر الحربي وغيره من شيوخ بغداد .[٧٦]

وفي جرجان ظهر أبو الحسن عبد الواسع بن محمد الجرجاني التاجر ت سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) كان من رؤساء التجار وثقاتهم ، وهو

---

(٧٢) أبو نعيم الأصبهاني : أخبار أصبهان ١٥٥/٧، بيروت ، ب ت .

(٧٣) المَاهاني: هذه النسبة إلى ماهان، وهو اسم لبعض أجداد المنتسب إليه .السمعاني : المصدر السابق ١٨٢/٥.

(٧٤) السمعاني : المصدر السابق١٨٢/٥.

(٧٥) بُست مدينة من أعمال سجستان . الحِميري: الروض المعطار ١١٣/١.

(٧٦) الصيرفيني :المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص٤٧٩ ، تحقيق : خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة والنشر التوزيع ، بيروت ، ١٩٩٣م .

ثقة يعتمد على أقواله ، سمع الكثير من العلماء في جرجان ونيسابور .[٧٧]
و أبو الحسن علي بن محمد بن أبي بكر التاجر ت سنة (٦٠٤هـ/١٢٠٧م) سافر كثيراً وطاف العديد من البلاد رغبة في الكسب من التجارة ، فقدم بغداد واستوطنها، وكان يسكن بدار الخلافة ، وهو من أعيان التجار ، وقد جمع من خلال عمله بالتجار قدر كبير من الثروة ، سمع بعض الحديث من أبي الفضل أحمد بن سعيد الميهني ، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي وغيرهما، وحدّث بعلمه في بغداد ودمشق .[٧٨]

وفي الري ظهر أبو الفتح عبد الجبار بن عبد الله بن برزة[٧٩] الرازي ت سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠ م) أحد التجار العاملين في بيع المجوهرات والمعادن النفيسة ، كان يسافر كثيراً إلى خراسان ونيسابور وأصبهان والعراق وبلاد الشام.[٨٠] تلقى العلم على العديد من العلماء مثل : الحسن بن شهاب العكبري ، ومن تلاميذه الخطيب البغدادي ، وسهل بن بشر الأكفاني ،

---

[٧٧] الجرجاني : تاريخ جرجان ، ص ٢٦١، تحقيق : د / محمد عبد المعيد خان ، الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨١م .
الصيرفيني : المصدر السابق ، ص٣٩٣.الذهبي:تاريخ الإسلام ١٠٩/٢٩.تاج الدين السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ١٣٨/٣، تحقيق : د/ محمود محمد الطناحي،وعبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الثانية، بيروت ، ١٩٩٢م.ابن حجر العسقلاني : تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ٨٧٧/٣ ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ب ت .

[٧٨] ابن النجار البغدادي : ذيل تاريخ بغداد ٢٣/٤.

[٧٩] البُرْزي : هذه النسبة إلى برزه وهي قرية من قرى مرو ، تقع بالقرب من كمسان على بعد خمسة فراسخ من مرو . السمعاني : الأنساب ٣٢٠/١. ياقوت : معجم البلدان ٣٨١/١.

[٨٠] ابن عساكر : تاريخ دمشق ٢٢:٢٠/٣٤ ، تحقيق : علي شيري ، الطبعة الأولى ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٨م.

وأبو سعد أحمد بن محمد البغدادي ..وغيرهم . [٨١]

ومن طراز [٨٢] أبو طاهر محمد بن إبراهيم بن مكي ، ت سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) وكان يعرف بهاجر لإقامته بها ، روى عن أبي منصور شجاع وأبي زيد أحمد ابني علي بن شجاع المصقلي وغيرهما . [٨٣] ويبدو أنه تنقل بعلمه في عدة بلاد ؛ لأن السمعاني ـ صاحب كتاب الأنساب ـ يذكر بأنه : كتب عنه بأصبهان وقرأ عليه جميع كتاب " معرفة الصحابة " لمؤلفه أبي عبد الله بن مندة ، وجميع كتاب " الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع " لأبي بكر الخطيب ، و "كتاب المنهاج " الذي صنفه معمر بن أحمد الأصبهاني. [٨٤]

ومن مرو ظهر أبو إسحاق إبراهيم بن بيهويه الفارسي قدم إلى بغداد في سنة (٢٧٠هـ/٨٨٣م) وكان من ثقات التجار . حدث عنه أبو القاسم ابن الثلاج .. وغيره [٨٥] . وأبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي [٨٦] ،

---

(٨١) السمعاني : المصدر السابق ٣٢٠/١.الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٥٤/٣١، ٢٥٥.

(٨٢) الطَرَازِي : هذه النسبة إلى طراز وهي مدينة على حد بلد الترك تجاور اسبيجاب . أما الطِرَازي بكسر الطاء ، فهذه النسبة إلى عمل الثياب المطرزة واستعمالها ، وكان في تلك المدينة طريق أو شارع يقال له سكة طراز ، وذلك نسبة للتجار من أهل طراز الذين كانوا يسكنونها . خرج منها كثير من العلماء قديماً وحديثاً ، وهم على مذهب الشافعي . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ٢٧٧/٢، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

(٨٣) ابن الأثير : المصدر السابق ٢٧٧/٢ . الذهبي : المصدر السابق ٣٧٤/٣٧.

(٨٤) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ٥٣/٢، ٥٢ ، تحقيق : منيرة ناجي سالم،بغداد ،١٩٧٥م.

(٨٥) الخطيب البغدادي :تاريخ بغداد ٤٨/٦ .

(٨٦) المحَبُوبي : هذه النسبة إلى محبوب وهو اسم لجد المنتسب إليه، وقد اشتهر بهذه النسبة . السمعاني : الأنساب ٢١٢/٥، ٢١٣.

التاجر ت سنة (٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م) كان والده من أكثر التجار ثروة بإقليم خراسان ، دخل مرو ، وكان كثير الكتابة ، ملتزماً بالحضور في مجالس الحديث . سمع أبا الحسن بن لؤلؤ الوراق،ومحمد ابن المظفر،وأبا بكر بن شاذان ،وأبا الفضل الزهري ،وموسى بن جعفر بن عرفة ، وأبا حفص بن شاهين ،ويوسف بن عمر القواس،والمعافى بن زكريا الجريري .. وغيرهم . ومن تلاميذه الخطيب البغدادي .[٨٧]

ومن نَسَف[٨٨] : أبو الهيثم نصر بن أحمد المحفوظي ،[٨٩] ت سنة (٣٨٥هـ/٩٩٥م) وكان من أمناء التجار ، تلقى العلم على العديد من العلماء منهم : أبو يعلى عبد المؤمن بن خلف النسفي.[٩٠]

ومن نيسابور التي تعد صاحبة النصيب الأوفر من الرجال الذين جمعوا بين التجارة والعلم في بلاد المشرق الإسلامي ظهر فارس الدلال ،[٩١] ت سنة (٣١٢هـ/٩٢٤م) والذي كانت له ثروة وتجارة واسعة فذهبت بعد أن أنفق على العلم الأموال الكثيرة ، فاشتغل بالدلالة . خرج إلى خراسان ، وتتلمذ على محمد بن رافع ومحمد بن علي بن شقيق والحسين بن عيسى

---

(٨٧) السمعاني : المصدر السابق٥/٢١٢،٢١٣.

(٨٨) نَسَف : مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند . ياقوت : معجم البلدان ٥/٢٨٥.

(٨٩) المحفُوظي:هذه النسبة إلى محفوظ وهو اسم لجد المنتسب إليه هذه النسبة إلى محفوظ وهو جد أبي الهيثم نصر بن أبي يعلى أحمد بن محمد بن محفوظ المحفوظي النسفي .ابن الأثير : المصدر السابق ٣/١٧٣.

(٩٠) السمعاني : المصدر السابق٥/٢١٤.

(٩١) الدَّلّالُ هو : الساعي بين البائع والمشتري فهو يدل المُشتري على السلع ، ويدل البائع على الأثمان ، ويطلق عليه : (السِّمْسَارُ) وهو : المتوسط بين البائع والمشتري لإمضاء البيع. الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ٨٦/١٢،و٧٣/١٧ ، دار الهداية،بيروت ، ب ت .

البسطامي ، وكان قد طلب من محمد بن إسماعيل البخاري نزول داره والإقامة عنده مدة ، فلبى طلبه ، وقرأ عليه كتاب التاريخ . وقد سمع بالعراق العلم من أبى سعيد الأشّج وعمر بن شبّة .. وغيرهم ، روى عنه أبو بكر بن علي الحافظ ومن بعده ، وتوفى بنيسابور . (٩٢)

وأبو الحسين أحمد بن محمد اليحيوي (٩٣)، ت سنة (٣٤٤هـ / ٩٥٥م) ، الذي كان من كبار التجار، مكث في بغداد في تجارته عدة سنوات ، والواضح أنه استغل تلك الفترة من حياته في التحصيل العلمي فدرس العلم في بغداد ، وعندما عاد إلى بلده أفاد الناس من علمه ، ويذكر أنه كتب بنيسابور عن السري بن خزيمة ، وبالعراق عن إسماعيل بن إسحاق القاضي وأقرانهما من العلماء . (٩٤)

وأبو منصور بكر بن محمد التاجر النيسابوري ، ت سنة (٤٦٥هـ /١٠٧٢م) سكن بغداد، وكان ثقة كثير الدرس للقرآن الكريم ، تتلمذ على يد أبيه و أبي الحسين أحمد بن محمد الخفاف وأبي بكر محمد بن عبدوس المزكي وأبي الحسن محمد بن الحسين العلوي . أما تلاميذه الذين رووا عنه العلم فقد انتشروا في العديد من البلدان ، أمثال:أبي بكر الخطيب ، وأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري في بغداد ، وأبي بكر هبة الله بن الفرج الظفر آباذي بهمذان ، وأبي القاسم إسماعيل بن علي ابن الحسين الحمامي بأصبهان ..وغيرهم . (٩٥)

---

(٩٢) السمعاني : المصدر السابق ٢/٥١٩،٥٢٠.

(٩٣) اليحيوي:هذه النسبة إلى يحيويه،وهو جد أبي الحسين أحمد بن محمد بن يحيى. ابن الأثير: المصدر السابق ٣/٤٠٨.

(٩٤) السمعاني : المصدر السابق ٥/٦٨٣.

(٩٥) السمعاني : المصدر السابق ١/٤٤٠.

وظهر ـ أيضاً ـ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن حسكويه التاجر ت سنة (٤٥٣هـ/١٠٦١م) رئيس الباعة في عصره ، ومعروف عنه بأنه من أكفاء التجار في مهنته . روى عنه زاهر بن طاهر عن أبي الحسين الخفاف .[٩٦]

وأبو سعد محمد بن أميرك الراغلي ت سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) كان من التجار المعروفين ،من شيوخه : أبو سعيد عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري ، وأبو مسعود الفضل بن محمد الفراوي ، وأبو محمد السمرقندي ، وأبو الحسن أحمد بن محمد الشجاعي وغيرهم . تتلمذ على يديه السمعاني ـ صاحب الأنساب ـ في نيسابور .[٩٧]

ومن علمائها أيضاً أبو عبد الله محمد بن القاسم الرشيدي ت سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) أحد التجار الأثرياء ، سمع بنيسابور وببغداد من شيوخهما ، وتوزع تلاميذه في العديد من البلدان،كأبي طاهر السنجي بمرو، ومحمد بن يحيى الحيري بنيسابور، ومحمد بن الحسين الطبري بأهلم[٩٨] .. وغيرهم .[٩٩]

ومن همذان : أبو حامد عبد العزيز بن علي الدينوري[١٠٠] ت سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م) كان أحد أصحاب الأموال الكثيرة ، وعرف بفعل الخير

---

(٩٦) الصيرفيني:المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، ص٣١٣.الذهبي : تاريخ الإسلام ٣٠/ ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

(٩٧) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ٩٨/٢.

(٩٨) أهلم : بليدة بساحل بحر آبسكون من نواحي طبرستان . ياقوت : معجم البلدان ٢٨٤/١.

(٩٩) السمعاني : الأنساب ٦٩/٣.

(١٠٠) الدينور : مدينة من كور الجبل تقع ما بين الموصل وأذربيجان . الحميري : الروض المعطار ١ / ٢٤٩ .

والإحسان إلى الفقراء ، وكانت له مكانة عند الخليفة المسترشد بالله ، وكان يحظى بمكانة كبيرة بين تجار عصره . من شيوخه : أبو محمد الجوهري ، ومن تلاميذه : أبو المعمر الأنصاري ..وغيره . (١٠١) وأبو أحمد محمد بن عبد الرشيد بن علي بن بنيمان الحداد التاجر الهمذاني ت سنة (٦٢١هـ/١٢٢٤م) وكانت والدته عاتكة شيخة ابن الدبيثي،سمع بهمذان من أبي الخير محمد بن أحمد الباغيان لما قدمها،وقدم بغداد أكثر من مرة . ومن تلاميذه المؤرخ أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيثي الواسطي ، (١٠٢) توفى في بغداد سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) ، وقد وضع العديد من الكتب منها تاريخ لبلده واسط . (١٠٣)

وإذا كانت معظم الأمثلة السابقة توضح أن العديد من هؤلاء الرجال قد جمعوا في أسفارهم بين التحصيل العلمي والكسب المادي ، فقد وجد منهم من وزع اهتماماته خلال سني عمره ، فاستغل فترة شبابه في التجارة وتلقي العلم ، وعندما تقدمت به السن تفرغ للتدريس وكان حجة في فنه مثل : أبي بكر عبد الغفار بن محمد الشيروي من أهل نيسابور ت سنة (٥١٠هـ/١١١٦م) كان من ثقات التجار ، وعندما كان يسافر كان يحمل معه بضائع الناس ويحسن القيام عليها لأمانته ، ويربح عليها الأموال الكثيرة إلى أن عجز عن السفر فلزم بيته واشتغل برواية الحديث مدة تقدر

---

(١٠١) ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٢٢١/٩،الطبعة الأولى،دار صادر،بيروت،ب ت

(١٠٢) الذهبي : مختصر تاريخ الدبيثي ، ص ٤٤، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م. والدبيثي نسبة إلى دبيث قرية بنواحي واسط. الكتاني : الرسالة المستطرفة ، ص ١٢٩. وسميت واسط بهذا الاسم ؛ لأنها تقع في مكان متوسط بين البصرة والكوفة.ياقوت:المصدر السابق ٣٤٧/٥.

(١٠٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ٣٠٩/١، القاهرة ، ب ت .

بأربعين سنة ، وسمع منه كل من قدم إلى نيسابور .[١٠٤] يقول عنه ابن الدمياطي : " وإليه انتهت الرحلة من البلدان " ، في طلب العلم .[١٠٥] حتى من كبار السن من الرجال مثل : أبي الحسن علي ابن أحمد بن حاتم بن برهان ، من الدينور ،[١٠٦] ومن تلاميذه : ذاكر بن كامل بن أبي غالب الحذاء من باب حرب ،[١٠٧] وإسماعيل بن أبي منصور القزويني ، سمع منه سنة (٤٩٨هـ / ١١٠٤م).[١٠٨] والحسن بن ذي النون الشغري من نيسابور.[١٠٩] والفقيه الشافعي أبو جعفر محمد بن شهفيروز بن ماهيار اللارزي من طبرستان ،[١١٠] وأبو القاسم الجُنيد بن محمد الغرنوي،[١١١] والقاضي أبو محمد عبد الله بن ميمون المالكاني الكوفني .[١١٢]

---

[١٠٤] السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ٤٦٤/١:٤٦٨.

[١٠٥] ابن الدمياطي:ذيل تاريخ بغداد ١٢٥/١،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٩٧م.

[١٠٦] ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ٢٨/٣.

[١٠٧] أبو بكر البغدادي : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، ص ٢٦٨، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٩٨٧م . وباب حرب محلة تقع في بغداد تجاور قبر أحمد ابن حنبل ﷺ . ياقوت : المصدر السابق ٢٣٦/٢.

[١٠٨] ابن الجوزي : المنتظم ١٤٣/١٠.

[١٠٩] القزويني : التدوين في أخبار قزوين ٣٠٥/٢، تحقيق : عزيز الله العطاري ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٧م .ابن حجر :لسان الميزان ٢٠٥/٢ ، الطبعة الثالثة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٨٦م .

[١١٠] السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ١٥٧/٦. الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠٣/٤ ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ،دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م.

[١١١] تقي الدين الغزي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، ص ٢١٠، بيروت ، ب ت .

[١١٢] السبكي : المصدر السابق ١٣٩/٧. وكُوفن : بليدة صغيرة من أعمال أبيورد . ياقوت :المصدر السابق ٨٦/١.

وكما كان عليه الوضع في بغداد حيث وجد من الناس من اقتصر في علمه وتجارته على بغداد ، فكذلك كان عليه الحال في بلاد المشرق الإسلامي ، فقد فضل البعض منهم التنقل بين بلاد المشرق ولم يتوجه إلى بغداد،ومن هؤلاء :

أبو علي عبد الواحد بن محمد بن روزبه الكازروني ، ت سنة (٤١٠هـ/١٠١٩م) ، والذي كانت له شهرة بين التجار ، حيث ذكرت المصادر أنه سافر إلى نيسابور .[١١٣] وكذلك عبد العزيز بن محمد الكرابيسي الهروي .[١١٤]

وممن خرج إلى بخارى أبو العباس الفضل بن عبد الواحد التاجر ت سنة (٤٩٤هـ /١١٠٠م) تتلمذ على أبي سهل الحسنوي وأبي علي المعاذي وأبي نصر المفسر من أصحاب الأصم ، وعقد له مجلس الإملاء فيها.[١١٥]

---

[١١٣] الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٣٧٠.

[١١٤] الصيرفيني : المصدر السابق ، ص٣٨٠.

[١١٥] الصيرفيني : المصدر السابق ، ص٤٥٠.و الأمالي جمع إملاء : وهي من وظائف العلماء قديماً وبصفة خاصة الحفاظ من أهل الحديث وعلماء اللغة ، وكانت تعقد في يوم من أيام الأسبوع كيوم الثلاثاء أو يوم الجمعة ، وهو المستحب ، كما يستحب أن يكون الإملاء في المسجد .

وطريقتهم فيه : أن يكتب المستملي في أول القائمة : " هذا مجلس أملاه شيخنا فلان بجامع كذا في يوم كذا ويذكر التاريخ ، ثم يورد المملي بأسانيده أحاديث وآثاراً ثم يفسر غريبها ويورد من الفوائد المتعلقة بها بإسناد أو بدونه بقدر ما يختاره ويتيسر له منها ". وقد كان هذا في الصدر الأول فاشياً كثيراً . =

وكان هناك من العلماء والتجار من أهل المشرق من خرج إلى الغرب لكن لم تشر المصادر إلى أن أحداً منهم دخل بغداد مثل : أبي محمد منصور بن محمد الدمشقي ت بعد سنة (٦٣٠ هـ /١٢٣٢م) ، سافر إلى إربل ، [١١٦] وهو شاب تاجر ، برع في علم الأدب قرأ على ابن عنين العديد من شعره . [١١٧] و أبي القاسم حمد بن علي الروياني ت سنة (٤٤٢هـ/١٠٥٠م) ، وهو من التجار المعروفين بالري ، سمع من علمائها، وعندما رحل إلى البصرة سمع أيضاً من علمائها . [١١٨]

ومن رجال آمل بطبرستان الذين توجهوا إلى مكة أبو رشيد محمد ابن عبد الواحد الشافعي أقام بها مدة واهتم بجمع الحديث من ثقاتها . [١١٩]

ومن علماء مرو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك ،كانت داره بمرو مقرا لاجتماع العلماء والزهاد في كل يوم،حيث يجتمعون بها يتذاكرون العلم ، فلما سافر إلى الكوفة واستقر بها كان لا يخرج من داره إلا إلى

= وعندما توفى الحفاظ قلّ الإملاء . الكتاني:الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة ، ص١٦٠. وعليه فكل كتاب يسمى بالأمالي فهو إملاء من الحفظ ، وهناك كتب أخرى هي من الأمالي وإن كانت كلمة الأمالي ليست في عنوان الكتاب ، مثل :كتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذري . وينبغي للمحدث العارف عقد مجلس لإملاء الحديث فإنه أعلى مراتب الرواية ؛ لأن الشيخ يتدبر ما يمليه ، والكاتب يحقق ما يكتبه .

ابن جماعة: المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، ص١٠٧، تحقيق : د/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م.

(١١٦) أربل : من أعمال الموصل ، وتسمى أربيل . ياقوت : المصدر السابق ١/١٣٨.

(١١٧) ابن المستوفي الإربلي : تاريخ إربل ١/٤٤٦، تحقيق : سامي الصقار ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م.

(١١٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ٣٠/٦٠،٦١.

(١١٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ١٠/٤٠.

الصلاة ثم يعود إليها مرة أخرى ،وكان لا يتزاور مع أحد من الناس ، فسأله ابن الجوزي المؤرخ قائلاً له : " يا أبا عبد الرحمن ألا تستوحش ها هنا مع الذي كنت فيه بمرو ؟ " ، في إشارة إلى كثرة اجتماع العلماء وطلاب العلم حوله في مدينته مرو . فقال : " إنما فررت من مرو من الذي تراك تحبه ، وأحببت ما ها هنا للذي أراك تكرهه لي،فكنت بمرو لا يكون هناك أمر إلا أتوني فيه ، ولا مسألة إلا قالوا اسألوا ابن المبارك ، وأنا ها هنا في عافية من ذلك "،[١٢٠] قال عنه عبد الرحمن بن مهدي : " ما رأت عيناي مثل سفيان ــ يقصد سفيان الثوري ــ ، و لا أقدم على عبد الله بن المبارك أحداً" . [١٢١]

وعندما قدم هارون الرشيد إلى الرقة،[١٢٢]تصادف دخوله المدينة مع دخول ابن المبارك في نفس اليوم ، فانشغل الناس بعبد الله بن المبارك، فنظرت أم ولد للخليفة من برج في قصر الخشب الذي يقع في هذه المدينة، ورأت التفاف الناس حول ابن المبارك ، فقالت : ما هذا ؟ فقالوا لها إنه عالم من أهل خراسان قدم الرقة،يقال له عبد الله بن المبارك. فقالت:" هذا والله المُلك لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشرط وأعوان ".[١٢٣] وكان

---

(١٢٠) ابن الجوزي : صفة الصفوة ١٣٤/٤،١٣٥، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م.

(١٢١) ابن الجوزي : المصدر السابق ١٣٦/٤،١٣٧.

(١٢٢) الرقة : مدينة تقع شرقي حلب على نهر الفرات ، وهي من أعمال الجزيرة كانت من أهم المدن أيام بني العباس بنى بها الرشيد قصر السلام وكان يقيم بها إذا اشتد الحر في بغداد ، وهناك مدن أخرى تحمل هذا الاسم . ياقوت : معجم البلدان ١٥/٣.

(١٢٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٣/٣ ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٠م.

كثير السفر إلى طرسوس ــ أيضاً ــ لقراءة الحديث .(١٢٤)

جاء رجل إلى سفيان الثوري فسأله عن مسألة ، فقال له : من أين أنت ؟ قال من أهل المشرق . قال : أوَ ليس عندكم أعلم أهل المشرق ؟ قال : ومن هو يا أبا عبد الله ؟ قال : إنه عبد الله بن المبارك ، و هو أعلم أهل المشرق؛ بل وأهل المغرب (١٢٥)روى عنه كبار الأئمة كالثوري و شعبة والأوزاعي والحمادين(١٢٦) وكان أحد أئمة المسلمين في العلم (١٢٧)

ساهمت مصر وبلاد المغرب والأندلس في هذه الحركة الفكرية والثقافية ، فاستقبلت رجال بلاد المشرق مثل ابن القاسم بن الفضل التنكتي ت سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م) الذي رحل إلى بلاد الأندلس ، ومكث بها مدة يتَعلم ويُعلم ، وكان من التجار المشهورين بفعل الخير وأعمال البر . اشتهر برواية صحيح مسلم بالعراق ومصر والأندلس عن عبد الغافر الفارسي ، وكان قد سمع بنيسابور من أبي الفتح ناصر بن الحسن العمري وبمصر من أبي الحسن محمد الطفال وبصور من أبي بكر الخطيب الحافظ ، روى عنه أبو القاسم بن السمرقندي وغيره .(١٢٨) ولعل هؤلاء العلماء قد دخلوا بغداد، لكن المدة التي مكثوها فيها قليلة ؛ فلم تشر المصادر لذلك ، وركزت على أخبارهم في محل إقامتهم في المدن التي مكثوا فيها مدة طويلة فقط ، إذ

---

(١٢٤) ابن الجوزي : المصدر السابق ٤/١٤٠،١٤١.

(١٢٥) ابن الجوزي : المصدر السابق ٤/١٣٨.

(١٢٦) ذكر الذهبي الحمادين بأنهما حماد بن سلمة ، وحماد بن زيد . انظر : سير أعلام النبلاء ٧/٤٦٤ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وحسين الأسد ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م.

(١٢٧) ابن الجوزي : المصدر السابق ٤/١٤٧.

(١٢٨) ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ١/٢٢٥.

بسبب شهرة البعض منهم في تخصصه يستبعد عدم دخوله بغداد نهائياً .

ومن بلاد المشرق من جاء إلى بغداد ، لكنه لم يتلق العلم فيها على أحد من العلماء وتفرغ للتجارة فقط ، مثل : أبي الحسن أحمد بن محمد الطرائفي من نيسابور ت سنة (٣٤٦هـ/٩٥٧م) تلقى العلم في بلده على يد السري بن خزيمة ، ومحمد بن أشرس السلمي ، وعثمان بن سعيد الدارمي ..وغيرهما. وثقه الحاكم وقال عنه كان : " صدوقاً " ، سافر إلى بغداد في سنة (٢٨٤هـ/ ٨٩٧م) بغرض التجارة ، ولم يسمع بها شيئاً من العلم . ولعل السبب في ذلك هو قصر المدة التي أقامها في تلك المدينة ، ففضل قضاء الأشغال المتصلة بتجارته في مدة محددة على أن يؤجل السماع على العلماء إلى رحلة قادمة ، أو أن هناك سبباً ما اضطره للعودة إلى بلاده سريعاً ، فلم يستطع تلقي العلم على يد أحد من العلماء ، ومن تلاميذه : أبوعلي الحافظ ، وأبو الحسين الحجاجي ، وابن محمش الزيادي ، وأبو عبد الرحمن السلمي .. وآخرون . (١٢٩)

ولاشك أن النهضة العلمية والتجارية التي حدثت في هذا العصر شاركت فيها كل الأقطار الإسلامية في ذلك الوقت ، فنجد من العلماء من تجول في بلاد المشرق وبغداد لكنه من بلاد الشام ، مثل : أبي الخطاب عمر ابن عبد الله العليمى ت سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) ويعرف بابن حوائج كاش من أهل دمشق، كان أحد التجار، سافر مابين الشام وديار مصر وبلاد الجزيرة والعراق وخراسان وما وراء النهر وخوارزم ، (١٣٠) وكان يريد التخصص في علم الحديث فسمع من علماء هذا التخصص في كل بلد كان

---

(١٢٩) الذهبي : تاريخ الإسلام ٣٤٥/٢٥.

(١٣٠) الذهبي : المصدر السابق ١٥٣/٤٠. سير أعلام النبلاء ٤٩/٢١.

ينزل به ، وكان يكتب الأجزاء الحديثية[١٣١] بخطه حتى جمع من ذلك قدراً كبيراً ، سمع في دمشق،ومصر،والإسكندرية،وحلب،والموصل،وزنجان ، وهمذان ، والرى ، والدامغان ،[١٣٢] ونيسابور ، وهراة ، وبغشور [١٣٣] ، وسرخس ، ومرو ، وبخارى ، وسمرقند ، وخوازرم .. وغير ذلك من البلاد . ومن تلاميذه في بغداد : أبو الحسن على بن أحمد الزيدى ، وصبيح النصرى،وأبو محمد بن الأخضر ، وقد سمع منه أبو سعد ابن السمعاني بمرو ، وذكره في معجم شيوخه وأثنى عليه . [١٣٤] ومثل أبي البر صدقة بن عطية التاجر ت سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) الذي كان من أعيان التجار في بلاد الشام ، سافر كثيراً في صباه إلى بلاد الحجاز وخراسان ، ودخل بلاد ما وراء النهر وأقام فيها مدة ، ثم عاد إلى بغداد ، وسافر إلى الشام ، ودخل مصر وأقام بها مدة طويلة ، قرأ في أثنائها جزءاً من الطب ، وجمع كثيراً من الكتب ودواوين الشعر ، ثم عاد إلى دمشق وبها

[١٣١] الجزء عند المحدثين : هو تأليف الأحاديث المروية عن رجل واحد من الصحابة أومن بعدهم ، وقد يختارون من المطالب المذكورة في صفة الجامع مطلباً جزئياً يصنفون فيه مبسوطاً وفوائد حديثية أيضاً ووحدانيات وثنائيات وعشاريات وأربعونيات وثماتونيات والمائة والمائتان وما أشبه ذلك وهي كثيرة جداً ، فمن الأجزاء الحديثية ، جزء (الحسن بن سفيان الشيباني النسائي) صاحب (المسند). انظر:الكتاني:الرسالة المستطرفة ٨٧/١ ، الطبعة الرابعة ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، ١٩٨٦م.

[١٣٢] الدامِغان : مدينة بين الري ونيسابور وهي أقرب إلى نيسابور .افتتحها عبد الله بن عامر بن كريز، في خلافة عثمان بن عفان ﷺ سنة (٣٠هـ/٦٥٠م) . البكري : معجم ما استعجم ٥٣٩/٢ . الحميري : الروض المعطار ، ص٢٣١.

[١٣٣] بُغشور : بليدة بين هراة ومرو الروذ . ياقوت : المصدر السابق ٤٦٧/١ .

[١٣٤] ابن النجار البغدادي : ذيل تاريخ بغداد ١٠٧/٥:١١٠.

توفي[١٣٥] . وساعد بن فضائل بن ساعد المنبجي،[١٣٦] أحد التجار المعروفين ، الذي كان يسافر إلى العراق وخراسان ..وغيرهما ، تلقى العلم على العديد من العلماء في نيسابور ، وسمرقند . ومن تلاميذه أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني .[١٣٧]

وأبو الغنائم سرايا بن هبة الله الحرّاني، تاجر تجول في بلاد الشام ومصر واليمن والهند وخراسان في تجارته ، ودخل حلب مراراً في أثناء مروره بها في تجارته ، وكان راغباً في العلم وسماع الحديث ، سمع العديد من العلماء في بلخ ونيسابور وبغداد ودمشق ودمياط .[١٣٨]

يتضح مما سبق أن هناك من الناس من جمع في رحلته بين العلم والتجارة وكانت الكفة راجحة فيه لصالح بلاد المشرق الإسلامي على حساب بغداد ، ولا غرابة في ذلك لعدة اعتبارات ، منها : أن بغداد تعد مدينة واحدة . أما بلاد المشرق فهي تضم أقاليم ومدن عدة ، ومعروف أن بعض المدن في تلك البلاد كانت موطن التجارة واشتهر الكثير منها ببضائع وسلع معينة كما سبق قوله ، فأمر منطقي أن تتركز الثروة في أيدي رجالها . زد على ذلك أن بغداد كانت عاصمة الخلافة واليها تكون هجرة راغبي العلم والثروة . ومن الطبيعي أن تسرد المصادر الكثير من أسماء هؤلاء الرجال الذين عملوا بالتجارة أو التجار الذين رغبوا في تحصيل العلم والمعرفة وصقل أنفسهم بذلك ، فخرجوا إلي بغداد التي كان يوجد بها كبار علماء

---

[١٣٥] الصفدي : الوافي بالوفيات ١٦/١٧٠.

[١٣٦] منبج :بلدة تقع في بلاد الشام ناحية قنسرين ومن كورها.ياقوت:معجم البلدان ٥/٢٠٥.
الحميري : المصدر السابق ، ص٥٤٧.

[١٣٧] ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/١٨٩.

[١٣٨] ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ص ٣٦.

العصر ، والذين يظهر أن الكثير منهم كان لا يحترف العمل بالتجارة ، وإنما تفرغوا للعلم والدرس .

أنواع العلوم :

كان لهذه الحركة الدائبة تجارياً وعلمياً أثر كبير في ظهور الرغبة في التنوع المعرفي ، فمن كان يريد الاستزادة في علم من العلوم ويريد التلقي على كبار أساتذته في أي بلد من البلاد التابعة للخلافة العباسية كان باب الرحلة مفتوحاً أمامه ، فنتج عن ذلك ازدهار العلوم والمعارف ، وتخصص الكثير منهم في فروع العلم المختلفة .

فـ **علم القراءات** ، وهو العلم الذي يُبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن .[١٣٩] في مخارجها وصفاتها وبيان اختلاف العرب في لهجات النطق بها ؛ ويكون بالتلقي عن قراء القرآن من الصحابة بالأسانيد الصحيحة. ومن أهم مميزات هذه القراءات أنها حفظت لنا تحديد كيفيات نطق العرب بالحروف ، فأئمة اللغة العربية لما قرءوا القرآن قرءوه بلهجات العرب الذين كانوا بين ظهرانيهم ، وذلك في الأمصار التي وزعت عليها المصاحف ، وهي : (المدينة ، ومكة ، والكوفة ، والبصرة ، والشام ، قيل واليمن والبحرين) ، ويذكر أنه كان في هذه الأمصار قراؤها من الصحابة قبل ورود مصحف عثمان ـ ﷺ ـ إليهم فقرأ كل فريق بعربية قومه في وجوه الأداء فقط ، لا في زيادة الحروف ونقصها ، ولا في اختلاف الإعراب،

---

[١٣٩] أبو حيان الأندلسي : تفسير البحر المحيط ١٢١/١.مقدمة التحقيق ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١م.

مناع القطان : مباحث في علوم القرآن ، ص ٣٣٥ ، الطبعة الثالثة ، ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، بيروت، ٢٠٠٠م.

بل كما وردت في مصحف عثمان.[١٤٠] واختلف فيه هل هو من فروع علم التفسير ،[١٤١] أو علم مستقل بذاته ؟[١٤٢]

وقد نبغ فيه العديد من العلماء الذين يعملو ن بالتجارة ، مثل : أبي أحمد محمد بن موسى الشعيبي ، من أهل نيسابور ، ت سنة (٣٥٧هـ/٩٦٧م) كان أمين التجار بها ، ومن القراء الذين يجيدون تلاوة القرآن الكريم .[١٤٣] كذلك برع في هذا العلم أبو القاسم بن أبي حرب الجرجانيّ ت سنة (٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) ، كبير التجار في نفس المدينة ، حيث ذكر عنه كثرة تلاوة القرآن وبكائه ، وقد حدث بعلمه في القراءات في بلدان عديدة .[١٤٤]

ومن العلماء المشرقيين الذين برعوا في هذا التخصص من رحل إلى بلاد متعددة كبغداد وغيرها أكثر من مرة ، وأنفقوا كل ما يملكون من ثروات في الرحلة لأجل سماع العلم على كبار علماء عصرهم ، وكانوا لا يجدون غضاضة في ذلك ، مثل : أبي العلاء الحسن بن أحمد بن سهل الهمذاني شيخ مدينة همذان ت سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) فقد رحل إلى أصبهان ، وواسط ، وخراسان . ورحل إلى بغداد مرتين ، فقرأ بها الكثير ، حيث حضر إليها في الثلاثين من عمره . والمرة الأخرى بعد الأربعين ، فقرأ

---

[١٤٠] الشيخ محمد الطاهر عاشور : التحرير والتنوير ٥١/١،٥٢،ط دار سحنون للنشر والتوزيع ، تونس ، ١٩٩٧م.

[١٤١] القنوجي : أبجد العلوم ١٧٦/٢، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

[١٤٢] حاجي خليفة : كشف الظنون ١٤/١.

[١٤٣] السمعاني : الأنساب ٤٣٥/٣.

[١٤٤] الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٦٢/٣٣.

وحدث إذ ذاك بها . و تتلمذ عليه في هذا العلم العديد من الطلاب . [١٤٥] ثم أصبح علماً في تخصصه ، وأوكلت إليه مشيخة العلم في بلده . [١٤٦] وقد صنف في فروع علم القراءات كالوقف والابتداء ، والتجويد ومعرفة القراء ..الخ ، ما يقدر بعشرين مجلداً ، وكتبت مؤلفاته هذه ، وتم نقلها إلى خوارزم وبلاد الشام . وبرع على يده عدد كبير من العلماء في علوم القرآن وبلغ من سعة علمه أنه كان إذا ذكر أمامه أحد القراء ، فيقول : فلان مات في سنة كذا ، وفلان مات في سنة كذا ، وفلان يعلو إسناده على فلان بكذا .
كما بلغ من شغفه بالعلم أن سافر إلى بغداد، وأصبهان مرات كثيرة ماشياً، وكان يحمل كتبه على ظهره . يروى عن نفسه فيقول : " كنت أبيت ببغداد في المساجد ، وآكل خبز الدخن " . [١٤٧] وكان منظماً في علمه حيث يتلو في نصف النهار القرآن الكريم وبعض أنواع العلوم ، ونصفه الآخر خصصه

---

[١٤٥] الذهبي : المصدر السابق ٣٩ / ٣٣٤:٣٣٦ . سير أعلام النبلاء ٢١ / ٤٠،٤١ . تذكرة الحفاظ ١/٨٠ ، تحقيق : زكريا عميرات ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

[١٤٦] الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/٥٤٢:٥٤٤، تحقيق : بشار عواد معروف وآخرين ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م. تذكرة الحفاظ ١/٨١.

[١٤٧] الذهبي : تاريخ الإسلام ٣٩/٣٣٤:٣٣٦. سير أعلام النبلاء ٢١/٤٣. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ١/٥٤٢.أبو بكر البغدادي :التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، ص٢٤٠.

والدخن : من الحبوب التي تقتات ويصنع منها خبز . وحبه أصغر من الذرة . وورد في لسان العرب لابن منظور ١٣/١٤٩. بأن الدَّخَن بالتحريك مصدر دَخِنَت النار تَدْخَن إذا أُلقِي عليها حطب رطب وكثر دخانها ، وأصل الدَّخَن أن يكون في لون الدابة أو الثوب كُدْرة إلى سواد . ومهما يكن الأمر ، فإن المقصود من كلام أبي العلاء الهمذاني أنه كان يأكل الرديء من أنواع الخبز أو يأكله وهو في حالة سيئة .

لعلم الحديث . (١٤٨) وقد قال عنه أبو الفضل بن بنيمان بهمذان : " رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجليه؛ لأن السراج ــ وهي وسيلة الإضاءة ــ كانت مرتفعة " . (١٤٩)

وحدث أن بيعت كتب ابن الجواليقي في بغداد، فحضرها أبو العلاء الهمذاني ، فنادى الدلالون على كتاب منها بستين دينارًا ، فقام بشرائه بشرط أن يمهل مدة أسبوع لسداد الثمن ، ثم خرج إلى بلده همذان ؛ ليجمع المبلغ المطلوب دفعه في هذه الكتب ، فلم يجد أمامه غير منزل له كان بها، فعرضه للبيع ، فَسُعِّر هذا المنزل بستين دينارًا. فوافق على الفور على بيعه . فقال له بعض الناس إن ثمنه أكثر من ذلك ، وأن المشتري استغل حاجته للمال . لكنه أصرّ على البيع وأتمه ، وبعد أن قبض المال رجع إلى بغداد ، ووفى بثمن الكتب. ولم يشعر أحد في بغداد بما فعله إلا بعد مدة من الوقت . (١٥٠)

أما **علم الحديث** ــ وهو : العلم الذي يعرف به أقوال النبي ــ ﷺ ــ وأفعاله وأحواله ، ومن فروعه : علم دراية الحديث وهو : العلم الباحث عن المعنى المفهوم من ألفاظ الحديث وعن المراد منها ، مبنياً على قواعد اللغة العربية وضوابط الشريعة الإسلامية ومطابقا لأحوال النبي ــ ﷺ ــ(١٥١) فقد ظهر فيه العديد من العلماء في بلاد المشرق خلال هذا العصر، منهم على سبيل المثال : أبو سعد عبد الرحمن بن الحسن بن عليك

(١٤٨) الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار ٥٤٤/١ . سير أعلام النبلاء ٤٢/٢١ . أبو بكر البغدادي : المصدر السابق ص٢٤١.

(١٤٩) أبو بكر البغدادي : المصدر السابق ، ص٢٤١. الذهبي : تذكرة الحفاظ ٨٢/١.

(١٥٠) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ١٣٤:١٣٢/١

(١٥١) القنوجي : المرجع السابق ٢١٩/٢.

النيسابوري ت سنة (٤٣١هـ/١٠٣٩م) ، الذي برع في هذا العلم وعقد له فيه مجالس الإملاء ـ كان جده لأمه أحمد بن علي الصفار أمين تجار نيسابور ـ واجتهد في تحصيل هذا العلم حتى صار من الحفاظ للحديث النبوي الشريف وصنف فيه الكتب وجمع المشيخات والأبواب [١٥٢] ، منها كتاب في المختلف والمؤتلف ، وكان حسن الحفظ والمذاكرة . وعقد له مجلس الإملاء يوم الأربعاء في مسجد المطرز [١٥٣] فأملى عدة سنوات. وأكثر في الأخذ عن الحاكم أبي أحمد النيسابوري ،[١٥٤] حتى قبله وائتمنه على كتبه . [١٥٥]

وممن برع في علم الحديث ـ أيضاً ـ أبو صالح أحمد بن بكر النيسابوري ت سنة (٤٧٠هـ/١٠٧٧م) محدث نيسابور ، وكان يُعتمد عليه في حفظ الودائع من كتب الحديث التي تم جمعها في خزائن موروثة عن

---

[١٥٢] المشيخات : وهي التي تشتمل على ذكر الشيوخ الذين لقيهم المؤلف وأخذ عنهم أو أجازوه وإن لم يلقهم ، ومن هذه المشيخات : مشيخة الحافظ أبي يعلى الخليلي وغيرها . الكتاني : الرسالة المستطرفة ، ص ١٤١. أما الأبواب : فهي كتب السنن المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها.. الكتاني : المرجع السابق ، ص٣٩.

[١٥٣] مسجد المطرز : هو المسجد الكبير بنيسابور . ابن الصلاح : طبقات الفقهاء الشافعية ٢٤١/١

[١٥٤] هو أبو أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري ، ويعرف بـ " الحاكم الكبير " ت سنة (٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م) محدث خراسان في عصره . تقلد القضاء في مدن كثيرة ، منها الشاش ، وحكم بها أربع سنين ، ثم طوس . وعاد إلى نيسابور سنة (٣٤٥هـ /٩٥٦م) فأقبل على العبادة والتأليف . وكف بصره وتوفي بها . من كتبه (الأسماء والكنى) ، و (العلل) ، و(المخرج على كتاب المزني) ، و(الشيوخ والأبواب).وهو غير الحاكم صاحب المستدرك على الصحيحين .انظر في ترجمته : الذهبي : تاريخ الإسلام ٦٣٨/٢٦،٦٣٩.

[١٥٥] الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٣٣٦،٣٣٧ .

العلماء ، كان أصحابها قد أوقفوها على طلاب الحديث ، فعمل على صيانتها وحفظها ، وتولى كذلك القيام بحفظ أدوات الكتابة كالحبر والورق وغيرها من الأشياء التي أوقفها الواقفون على طلبة هذا العلم ، وتولى الآذان على منارة المدرسة البيهقية لعدة سنوات بدون أجر ، وكان يأخذ صدقات التجار وأصحاب الأموال ويوصلها إلى ذوي الحاجات ، وإذا فرغ من شواغله جمع وصنف الكتب وأفاد طلبة العلم . كان حافظاً وثّقة العلماء ، وكتب الكثير من المؤلفات بخطه مثل : كتاب عن تاريخ مرو ، وكتب عن الخطيب البغدادي ، وكتب الخطيب عنه . [١٥٦]

وكذلك أبو الليث نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل التنكتي ت سنة (٤٨٦هـ/١٠٩٣م)،[١٥٧] كان من مشاهير التجار الأثرياء ، ومن تلاميذه الذين رووا عنه العلم : أبو القاسم بن السمرقندي ، وأبو القاسم العكبري ، و عبد الخالق بن يوسف في بغداد ، وأبو السعادات ابن نغويا العدل في واسط ، وأبو منصور عبد الخالق ابن زاهر الشحامي في نيسابور . [١٥٨] ومن العلماء الذين اشتهروا في هذا المجال : أبو الفضل عبد الوهاب بن هبة الله بن أبي الحسين بن النرسي ، [١٥٩] كان من التجار المعروفين ، لقيه السمعاني – صاحب الأنساب – في بلخ ثم في سمرقند

---

(١٥٦) الصفدي : الوافي بالوفيات ١٠٦/٧.

(١٥٧) التُنكَتي : هذه النسبة إلى تنكت ، وهي مدينة من مدن الشاش تقع وراء نهر جيحون وسيحون . السمعاني : الأنساب ٤٨٣/١،٤٨٤.

(١٥٨) السمعاني : المصدر السابق ٤٨٣/١،٤٨٤.

(١٥٩) النَرسِي: هذه النسبة إلى النرس، وهو نهر من أنهار الكوفة ، عليه عدة من القرى ينتسب إليها جماعة من مشاهير المحدثين بالكوفة . ويقال أنها قرية بفارس. ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ٣٠٥/٣.

وسمع منه ، ثم لقيه في بخـارى .[١٦٠] وكـذلك أبـو الحسن علـي بـن بنـدار القطان الحلابي[١٦١] ت سنة (٥٤٠هـ/١١٤٥م)، وهو شـيخ تـاجر متميـز مـن أبناء المحدثين[١٦٢].

أما **علم الرواية للحديث** وهو العلم الذي يعـرف بـه قـوانين أي قواعـد أحوال السند والمتن من صحة وحسن وضـعف وعلـو ونـزول وكيفيـة التحمـل والأداء وصفات الرجال وغيـر ذلـك .[١٦٣] وهـو أحـد فـروع علـم الحـديث ويعرف بعلم " أصول الحديث " ،[١٦٤] فقد بـرع فيـه مـن التجـار العلمـاء أبـو محمد دعلج بن أحمد بـن الـسجزي ، ت سـنة (٣٥١هـ/٩٦٢م) سـمع علـى العديد من العلمـاء فـي مكـة ، والبـصرة ، والـرّي ، و نيـسابور ، وهـراة ، وبغداد ..وغير ذلك . وتخـرج علـى يديـه كبـار العلمـاء مثـل : الـدارقطني ، والحاكم بن رزقويه ، وأبي علـيّ ابـن شـاذان ، وأبـي إسـحاق الأسـفراييني ، وعبد الملك بن بشران ، وغيرهم . وكان شيخ أهل الحـديث فـي عـصره ، ولـه صدقات جارية على طلاب هذا العلم في مكـة والعـراق وسجـستان .[١٦٥] وبلـغ من ثرائه وإكرامه لرجال العلم أن بعث بالمـسند الـذي وضـعه إلـى ابـن عقـدة لينظر فيه ويبدي رأيه في موضوعاته ، فجعـل فـي الأجـزاء بـين كـل ورقتـين

---

(١٦٠) السمعاني : المصدر السابق ٥/٤٧٩.

(١٦١) الحَلاّبي : وقيل له الحلابي لان أحد أجداده عرف بالشاه الحلابـة فقيـل لـه هـذا الاسـم . السمعاني : المصدر السابق ٢/٢٩٢.

(١٦٢) السمعاني : المصدر السابق ٢/٢٩٢.

(١٦٣) السيوطي : إتمام الدراية لقراء النقاية ، ص ٤٦، تحقيق : إبـراهيم العجـوز ، دار الكتـب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.

(١٦٤) القنوجي : المرجع السابق ٢/٢١٩.

(١٦٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٦/٥٣:٥٦.

ديناراً مكافأة له ، ولكي يتم المراجعة في أسرع وقت.[١٦٦] ولم يكن في التجار من هو أكثر منه مالاً ، اشترى بمكة داراً تسمى بـ " دار العباسية " بمبلغ (٣٠,٠٠٠) دينار وكانت له صدقات جارية على أهل الحديث بمكة والعراق وسجستان ، وكانت كتبه تعد من أصح الكتب، قال عمر البصري : " ما رأيت في بغداد فيمن انتخبت عليهم أصح كتباً ولا أحسن سماعاً من دعلج"[١٦٧].ويقال أن تركته أحصيت بعد وفاته فبلغت (٣٠٠,٠٠٠) دينار.[١٦٨]

وعبيد بن أبي قرة ، الذي تفرد برواية حديث النبي ـــ ﷺ ـ الذي قاله : " إذا طعم أحدكم من الطعام فلا يمسح يده حتى يلعق أصابعه .." .[١٦٩] كان يعمل بالتجارة ، وثقه البغدادي ، وقال عنه : " ثقة صدوق " .[١٧٠] روى عنه الحاكم في مواضع متعددة .[١٧١]

---

[١٦٦] الذهبي : تذكرة الحفاظ ٦٦/٣.

[١٦٧] الصفدي : الوافي بالوفيات ١٣/١٤.

[١٦٨] الذهبي : تاريخ الإسلام ٥٦:٥٣/٢٦.

[١٦٩] الطبراني :المعجم الكبير ٣٥/٦، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة الثانية ، مكتبة العلوم والحكم ،الموصل ، ١٩٨٣م .

[١٧٠] ابن سعد :الطبقات الكبرى ٣٢٤/٧ ، دار صادر ، بيروت ، ب ت . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٩٥/١١.الذهبي : ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢٢/٣ . ابن حجر العسقلاني : تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ٨٥١/١ . لسان الميزان ٤/ ١٢٢.

[١٧١] أنظر على سبيل المثال الحاكم النيسابوري : المستدرك على الصحيحين٥٨/١، و٨٨، و٢٢٥، و٢٢٧، و٥٤٥. و١١/٢، و٣٦٣. و٤٩/٣، و٥١، و١١٨، و١٥٠، و١٥٢، و٣٥٨،و٧٠٠، و٣١/٤ و ٢٣٠ ، و٣٥٢.

و أبو عبيد محمد بن محمد الشيرازي ت سنة (٤٣٠هـ/١٠٣٨م) أمين الودائع وأمين التجار في شيراز ، حدث عن أبي عمرو بن حمدان وأبي أحمد الحافظ .. وغيرهما ، وخرّج له الفلكي الحافظ فوائد .[١٧٢]

كان من المؤسسات العلمية في بلاد العراق التى حدث بها العلماء التجار جامع الترمذي في بغداد ، وقد حدث به أبو صابر عبد الصبور بن عبد السلام الهروي التاجر ت سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) عندما قدمها في سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) ، وكان من التجار المعروفين ، صدوقاً أميناً.[١٧٣]

أما **علم الأدب** ، وهو العلم الذي يحترز به عن الخطأ في كلام العرب لفظاً وخطاً ،[١٧٤] وثمرته هي : الإجادة في فني المنظوم والمنثور ، على أساليب العرب ومناحي الأدباء القدامى . فيُجمع في ذلك من محفوظ كلام العرب ، ما يمكن أن تحصل به الملكة من : شعر عالي الطبقة ، وسجع متساو في الإجادة ، ومسائل من اللغة والنحو متفرقة ، يستقريء منها في الغالب معظم قوانين العربية ، مع ذكر بعض من أيام العرب ؛ ليفهم بها ما يقع في أشعارهم منها . وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة .

والمقصود من ذلك كله أن لا يخفى على الناظر في هذا العلم شيء من كلام العرب وأساليبهم وأنواع بلاغتهم ؛ لأنه لا تحصل الملكة من حفظه إلا بعد فهمه ، فمن أجل ذلك فالأديب يحتاج إلى إتقان جميع ما يساعده علي

---

(١٧٢) الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص٣٣.

(١٧٣) الذهبي : المصدر السابق ٣٨/٨٧.

(١٧٤) القنوجي : المرجع السابق ٢/٤٤.

عملية الفهم هذه .[175]

وقد برع في هذا العلم أبو القاسم إسماعيل بن عبد الله ابن سعيد الساوي[176] ت سنة (٤٧٩هـ/١٠٨٦م) من أولاد التجار ، كان له دراية بعلم الأدب ومعرفة بعلوم اللغة العربية ، سمع الكثير ، وحدث عن علماء عصره في نيسابور ، وعن أبي الحسين محمد بن الفضل وطبقته في بغداد ، وسمع في خراسان وما وراء النهر، وعقد له مجلس الإملاء يوم الجمعة قبل الصلاة في القاعة أو الغرفة المنسوبة إلى الشحام ، والتي كانت مخصصة للمحدثين لإملاء دروسهم ، واستمر في الإملاء فيها مدة تقدر بسنتين بدأها بعد وفاة شيخها أبي عبد الرحمن الشحامي ، وكان أول مجلس عقد له في يوم الجمعة ٤رجب سنة (٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) .

وقد حدث في هذه المجالس بحديث استخلاف أبي بكر لعمر ابن الخطاب ــ رضي الله عنهما ــ عن أبي العباس الفضل بن الفضل الحنيني .[177]

وممن برع في الأمالي مثل سابقه : ياقوت بن عبد الله الرومي التاجر عتيق عبد الله بن أحمد البخاري أحد التجار المشهورين ، ت سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) قرأ عليه السمعاني ببغداد أمالي أبي طاهر

---

[175] ابن خلدون : المقدمة ١١٣٨/٣، ١١٣٩، تحقيق : د/ علي عبد الواحد وافي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م.

[176] ساوه : مدينة بين الري وهمذان . ياقوت : معجم البلدان ١٧٩/٣.

[177] الصيرفيني : المصدر السابق ، ص ١٤٧، ١٤٨.

المخلص. [178]

أما **علم الفقه** وهو العلم الذي يبحث عن الأحكام الشرعية الفرعية العملية من حيث استنباطها من الأدلة التفصيلية [179]

فقد برع فيه أبو بكر محمد بن عبد الملك الأستراباذي ، ت سنة (٣٦٢هـ/٩٧٢م) نزل جرجان ، وكان خبيراً في علم الشروط .[180] ارتحل

---

[178] السمعاني : المصدر السابق٣/١٠٥.الخطيب البغدادي : المصدر السابق٢/٣٢٢،٣٢٣. الذهبي : تاريخ الإسلام ١٤/٤٠٦. و٢٧/٢٩٢. وأبو الطاهر المخلص هو : محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلص توفى سنة (٣٩٣ هـ/ ١٠٠٢م) . ويلاحظ أن عدد المجالس التي عقدها المؤلف بلغت سبعة مجالس ، وبلغ مجموع الأحاديث التي أملاها (٩١) حديثًا مسندًا ، رتبت الأحاديث فيها على ترتيب شيوخه ، فكان يذكر أحاديث كل شيخ على حدة . وقد طبع الكتاب عدة طبعات ، منها طبعة بتحقيق : غالب بن محمد أبو القاسم الحامضي ، و صدرت عن دار الوطن بالرياض ، سنة ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م . وطبعة دار البشائر الإسلامية في بيروت ، سنة ١٤٢٥هـ /٢٠٠٥م ، بتحقيق : محمد بن ناصر العجمي ، وكان عدد الأحاديث فيها (٩٢) حديثاً.

[179] حاجي خليفة : كشف الظنون ٢/١٢٨٢.

[180] علم الشروط والسجلات : هو : علم باحث عن كيفية تدوين الأحكام الثابتة عند القاضي في الكتب والسجلات على وجه يصح الاحتجاج به عند انقضاء شهود الحال . وموضوعه : تلك الأحكام من حيث الكتابة ، وبعض مبادئه مأخوذ من الفقه وبعضها من علم الإنشاء وبعضها من الرسوم والعادات والأمور الاستحسانية وهو من فروع الفقه من حيث كون ترتيب معانيه موافقاً لقوانين الشرع ، وقد يجعل من فروع الأدب والإنشاء باعتبار تحسين الألفاظ . =

في طلب العلم والتجارة ، وسمع من البغوي ، وابن أبي داود ، و أبو بكر محمد بن سعيد السجزي . و سمع بهراة : محمد بن معاذ الماليني ، وحاتم ابن محبوب ، ومعدان البغوي ورجال طبقته. وبنيسابور : مؤمل بن الحسن ، وأبا عمرو الحيري . وبجرجان : أبا نعيم . وبالري : عبد الرحمن ابن أبي حاتم . روى عنه الحاكم النيسابوري في المستدرك،[181] وقال عنه الشيخ الذهبي : " كان من خيار التجار الأمناء ، ما رأينا منه إلا ما يليق بأهل الصدق " .[182]

ومنهم من كان على دراية بـ **علم الفرائض** (الميراث) : وهو العلم الذي يعنى بقواعد وجزئيات تعرف بها كيفية صرف التركة إلى الوارث بعد معرفته وتحديده .[183] أو هو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة، من كم تصح ؟ باعتبار فروضها من الأصول ، أو مناسختها.[184] وهو من فروع علم الفقه .[185] فقد برع فيه أبو البركات عبد الصمد

= وأول من صنف فيه هلال بن يحيى البصري الحنفي ت سنة (٢٤٥هـ/٨٥٩م) . ولأبي زيد أحمد بن زيد الشروطي الحنفي فيه ثلاث كتب كبير وصغير ومتوسط.وليحيى بن بكر الحنفي مؤلف ولأبي جعفر أحمد بن محمد الإمام الطحاوي ت سنة (٣٢١هـ / ٩٣٣م) مؤلف في أربعين جزءً ، ولمحمد بن أفلاطون الرومي البرسوي الشهير بأفلاطون ت سنة (٧٣٧هـ / ١٣٣٦م) وكان مقدماً فيه . يذكر أن النبي - ﷺ - أول من أملى كتب العهود والمواثيق . حاجي خليفة : كشف الظنون ١٠٤٦/٢. القنوجي : أبجد العلوم ٣٣٩/٢،٣٤٠.

(181) انظر على سبيل المثال الحاكم : المستدرك على الصحيحين ١٣٤/٢.

(182) الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٩٨/٢٦،٢٩٩.

(183) القنوجي : المرجع السابق ٣٩٦/٢.

(184) حاجي خليفة : المصدر السابق ١٤/١.

(185) ابن خلدون : المقدمة ٩٥٨/٣.

ابن أبي سهل العراقي الجصاص من أهل نيسابور ت سنة (٥٥٧هـ/١١٦١م) . (١٨٦)

ومنهم من برع في **علم التاريخ** ، وهو العلم المختص بمعرفة أحوال الطوائف وبلدانهم ورسومهم وعاداتهم وصنائع أشخاصهم وأنسابهم ووفياتهم . . . إلى غير ذلك . (١٨٧) فقد ظهر فيه الحاكم أبو عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (١٨٨) ت سنة (٤٠٥هـ/ ١٠١٤م) سافر في طلب الحديث منذ الصغر برعاية أبيه وخاله ، فرحل إلى العراق وهو ابن العشرين من عمره ثم جال في خراسان وما وراء النهر ، ورحل إلى العراق سنة (٣٤١هـ / ٩٥٢م) ، وتجول في بلاد خراسان ، وما وراء النهر، و يقدر عدد شيوخه بنحو ألفي شيخ ، (١٨٩)منهم : القاسم المروزى ... وغيره .(١٩٠)

وكان أبو الفضل بن الفلكي الهمذاني يقول عنه : " كان كتاب تاريخ النيسابوريين الذي صنفه الحاكم أبو عبد الله بن البيع أحد من رحلت إلى نيسابور بسببه " . (١٩١) وعندما سأله الدارقطني عن سبب تأليفه لهذا الكتاب قال له : إن كل بلاد خراسان وما وراء النهر وضع عنها تاريخ صنّفه عالم منها ، " ووجدت نيسابور مع كثرة العلماء بها لم يصنفوا فيه

---

(١٨٦) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير ١/٤٥٨:٤٦٠.

(١٨٧) حاجي خليفة : المرجع السابق ١/٢٧١.

(١٨٨) البَيّع : هذه اللفظة لمن يتولى البياعة والتوسط في الخانات بين البائع والمشتري من التجار للأمتعة . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ١/١٩٨.

(١٨٩) الذهبى: تذكرة الحفاظ ٣/١٦٢.

(١٩٠) ابن ماكولا :إكمال الكمال ٤/٥٠٩.

(١٩١) السمعاني : الأنساب ١/٤٣٣.

شيئًا ؛ فدعاني ذلك إلى أن صنفت تاريخ النيسابوريين " .(١٩٢) ومن تلاميذه : أبو يعلي محمد الفراء والد المؤلف الذي نعتمد عليه في هذا النقل(١٩٣) وكانت له حلقة للفتوى في جامع المنصور في بغداد . (١٩٤)

وممن برع في التاريخ – أيضاً – داوود بن أحمد بن سعيد الطيبي (١٩٥)، من أعيان التجار الكبار الجوالين في الآفاق ، كان له معرفة تامة بالتواريخ وأخبار الملوك والوزراء . رحل إلى العراق والحجاز وبلاد الشام ومرو وبلاد ما وراء النهر، وسمع من كبار علماء عصره في : نيسابور ، وبغداد ، والكوفة ، ومكة ، وهمذان ، وبخارى . ومن تلاميذه عدد كبير من أهل العراق وخراسان وحلب وغيرهم ، منهم : أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني ، والحافظ حماد بن هبة الله الحراني ، وابن العديم " صاحب بغية الطلب في تاريخ حلب " .. وغيرهم . (١٩٦)

وممن جمع بين علمي التاريخ ورواية الحديث أبو أحمد محمد ابن إبراهيم العسال ت سنة (٣٤٩هـ/٩٦٠م) ولي القضاء بأصبهان ، ويقال: إنه أملى تفسيراً كثيراً من حفظه ، وقيل : أملى أربعين ألف حديث بأردستان ،(١٩٧) فلما رجع إلى أصبهان ، قابل ذلك على الكتب المؤلفة ،

---

(١٩٢) الذهبي: تذكرة الحفاظ ١٦٢/٣.

(١٩٣) ابن أبي يعلى الفراء: طبقات الحنابلة ١٩٦/٢.

(١٩٤) ابن الأثير : المصدر السابق ١٩٨/١.

(١٩٥) الطيب : مدينة بين واسط والسوس .البكري : معجم ما استعجم ٨٩٩/٣.

(١٩٦) ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ٤٠٠/٣،٤٠١.

(١٩٧) أردستان : مدينة بين قاشان وأصبهان بينها وبين أصبهان ثمانية عشر فرسخاً . ياقوت : معجم البلدان ١٤٦/١.

فكان كما أملاه ، وهذا دلالة على قوة حفظه .[198]

وكان ابن مندة يقول عنه :

" كتبت عن ألف شيخ لم أر فيهم أتقن من أبي أحمد العسال " .[199]

وفي موضع آخر يقول : كتبت عن ألف وسبعمائة شيخ، فلم أجد فيهم مثل أبي أحمد العسال ، وإبراهيم بن محمد بن حمزة . وعندما توفى أوقف أملاكه على أولاده ، وهي بساتين ودور وحوانيت .[200]

ومن مؤلفاته : " تفسير القرآن " ، وكتاب " التاريخ " ، وكتاب " تاريخ النساء "، وكتابه " المعجم " ، وكتاب " السنة " ، وكتاب " الأمثال "، وكتاب " الرؤية "، وكتاب " العظمة " ، وكتاب " الجزية " ، وكتاب " الرقائق " وكتاب " الأبواب " على غريب الحديث ، و كتاب " مسند الأبواب"، وكتاب " حروف القراءات "،و كتاب " الآيات وكرامات الأولياء "، وكتاب " من يجمع حديثه من المقلين " ،و" طرق غسل يوم الجمعة " ، و " أحاديث مالك " .. وغير ذلك .[201]

---

[198] الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٦/٧:١٣.
[199] الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٧٠/١ . ابن الجوزي : المنتظم ٣٩٨/٦ . ابن كثير: البداية والنهاية ٢٦٩/١١.
[200] الذهبي : سير أعلام النبلاء ١٦/٧:١٠.
[201] الذهبي : المصدر السابق ١٦/١١:١٣.

وممن برع في علمي **التاريخ والجغرافيا** [٢٠٢] ياقوت بن عبد الله الحموي ، ت سنة (٦٢٦ هـ / ١٢٢٩م) وهو رومي الجنس والمولد ، حموي المولى ، بغدادي الدار ، أُسر من بلاده صغيراً، واشتراه في بغداد رجل تاجر يعرف بعسكر بن إبراهيم الحموي،فنسب له ، وألحقه بالكُتاب لكي يتلقى قدر من التعليم ؛ فينتفع به في ضبط تجارته ، خاصة وأنه كان لا يحسن الخط ولا يعلم شيئاً سوى التجارة ، وكان ساكناً في بغداد . [٢٠٣] ولما كبر ياقوت قرأ شيئاً من النحو واللغة ، وشغله مولاه بالأسفار في متاجره

---

[٢٠٢] ظهرت عدة أسباب أدت إلى النهوض بعلم الجغرافيا ـ خلال هذا العصر ـ منها : أن اتساع مساحة أراضي الدولة العباسية أدى إلى ظهور أمور إدارية خاصة بتنظيم الشئون المالية والخراج ، كما تطلبت المركزية في النظام الإداري في بغداد شق طرق جيدة للمواصلات ؛ للربط بين العاصمة وأقاليم الدولة المختلفة ، فاقتضى الأمر استيفاء معلومات دقيقة عن تلك الطرق من : تعدد للمراحل ، ونزل البريد ، وتحديد المسافات ، وظروف السفر . ثم حدث أن دعت مصالح الدولة التي أصبحت أكبر قوة عالمية في ذلك الوقت إلى عدم الاكتفاء بمعرفة أراضيها وحدها ؛ فكان من الضروري أن تحصل معلومات دقيقة عن البلاد الأخرى، وبصفة خاصة المتاخمة لحدودها .كل ذلك أدي لاتساع حجم المعارف الجغرافية لدي الناس في ذلك الوقت . وقد تنوعت الأسماء التي أطلقها العرب على علم الجغرافيا ، ففيما يتعلق بالجغرافيا الفلكية ثبت اللفظ اليوناني " جغرافيا " ، وهو المقصود به " علم الأطوال والعروض " ، أو علم " تقويم البلدان " .أما الجغرافيا الوصفية ، فقد أطلق عليها " علم المسالك والممالك " . وإذا غلب وصف الكون بما يصحبه ميل إلى العجائب والغرائب ، فقد أطلق عليه " علم عجائب البلاد " . انظر : كراتشكو فسكي:تاريخ الأدب الجغرافي ١٩/١، ٢٠ .ترجمة : صلاح الدين هاشم ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧م. أما إذا كان الحديث عن مراحل الطرق فأطلق عليها " علم البرد ومسافاتها " . والبرد جمع بريد وهو عبارة عن أربعة فراسخ . القنوجي : المرجع السابق ١٢٧/٢.

[٢٠٣] الذهبي : تاريخ الإسلام ٢٦٦/٤٥. ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ٢٨٣/٥، و ١٧٨/٨.

فكان يتردد على كيش [٢٠٤] وعُمان .. وغيرهما من البلاد في تلك النواحي ، ثم أعتقه في سنة (٥٩٦هـ/١١٩٩م) ، فاشتغل في نسخ الكتب بالأجرة ، وحصّل بسبب ذلك معارف عدة ، ثم إن مولاه بعد مدة أعطاه تجارة وسفرّه إلى كيش ، ولما عاد كان مولاه قد توفي ، فأخذ شيئاً من أموال هذه التجارة لنفسه ، وأعطى أولاد مولاه وزوجته ما تبقي لديه منها ، عمل بعد ذلك بما معه من أموال في تجارة الكتب. [٢٠٥] فرحل إلى دمشق ثم إلى حلب ثم إلى الموصل. ثم انتقل إلى إربل ومنها إلى خراسان فاستوطن مدينة مرو مدة ، وأخذ منها معلومات كثيرة سطرها فيما بعد في مصنفاته التي أنجزها عن البلدان ، وخرج بعد ذلك إلى نسا ، ثم إلى خوارزم ،وبينما هو فيها قدم إليها التتار في سنة (٦١٦هـ/١٢١٩م) ففر بنفسه تاركاً وراءه ما يملك ، ونزل بالموصل وهو في حالة لا يستطيع معها شراء القوت لنفسه ، ثم انتقل إلى سنجار ومنها إلى حلب ، وأقام بها إلى أن توفي ، وخلال الفترة التي أقامها في حلب كان يعمل بنسخ الكتب بالأجر مقابل المال ، ثم أخذ يتاجر فيها مع مداومته على التأليف [٢٠٦].

ومن مؤلفاته التي أنجزها خلال تلك المدة كتاب " معجم البلدان " وكتاب " معجم الشعراء " ، وكتاب " معجم الأدباء " ، وكتاب " المشترك وضعاً المختلف صقعاً " وهو من الكتب المهمة في البلدان ، وكتاب " المبدأ والمآل " في التاريخ ، وكتاب " الدول " ، و " مجموع كلام أبي علي

---

[٢٠٤] كيش : هي جزيرة قيس ، في وسط بحر عمان ، وهي مشهورة عند المسافرين ، ويغوص فيها الناس للبحث عن اللؤلؤ .ياقوت : معجم البلدان ٤٢٢/٤.

[٢٠٥] ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١٢٧/٦.

[٢٠٦] ابن خلكان : المصدر السابق ١٢٨/٦. إدوارد فنديك : كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع ، ص٧٥،٥٦.

الفارسي"، و " عنوان كتاب الأغاني " ، و " المقتضب في النسب " حيث يذكر فيه أنساب العرب، وكتاب " أخبار المتنبي " .(٢٠٧) خلاصة القول أنه كان مؤرخ ثقة ، ومن أئمة علماء الجغرافيا ، ومن العلماء باللغة والأدب.(٢٠٨)

• **أبناء التجار ودورهم في الحركة العلمية :**

شارك أبناء التجار في هذه الحركة العلمية والثقافية ، فقد حرصت هذه الفئة من الناس على أن يحصل أبناؤهم قدراً معيناً من الثقافة ، فألحقوهم بكبار أساتذة عصرهم لينهلوا من علمهم ، فنبغ منهم جماعة في فروع العلم المختلفة ، وصاروا مقصداً لغيرهم من طلاب العلم .. فمثلاً : أبو نصر أحمد بن محمد الإبريسمي(٢٠٩) ت سنة (٣٧١هـ/٩٨١م) كان والده من أثرى تجار نيسابور ، وكان هو مولعاً بصحبة الصالحين ، سمع مكي بن عبدان وأبا حامد الشرقي وأقرانهما، وقد سافر إلى بغداد ، ووضع أثناء إقامته بها بعض المؤلفات ، وبعد أن أدى فريضة الحج للمرة الرابعة وزار الأماكن المقدسة عاد إلى بغداد وتوفي بها .(٢١٠)

و قد نبغ بعض أبناء هذه الجماعة في علم معين ، وظهر منهم من كان علماً في تخصصه كـ **علم التفسير** ، أي تفسير القرآن ، و هو العلم الباحث عن معنى نظم القرآن بحسب الطاقة البشرية وبحسب ما تقتضيه القواعد العربية ، من حيث : أسباب نزول آياته ، وترتيب مكيها ومدنيها ،

---

(٢٠٧) ابن خلكان : المصدر السابق ١٢٩/٦

(٢٠٨) خيرالدين الزركلي : الأعلام ١٣١/٨.

(٢٠٩) الإبريسَمي: هذا اللفظ يطلق على من يعمل الإبريسم والثياب منه ويبيعها ويشتغل بها .
والإبريسم : نوع من الخزّ وقيل هي ثياب الحرير . ابن سيده : المخصص ٣٨٤/١.

(٢١٠) السمعاني : الأنساب ٧٢/١،٧٣.

ومحكمها ومتشابهها ، وناسخها ومنسوخها ، وخاصها وعامها ، ومطلقها ومقيدها ، ومجملها .. إلخ . [٢١١] فمن المعروف أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه . وكان ينزل جملاً جملاً، وآيات آيات، لبيان التوحيد والفروض الدينية بحسب الوقائع . فمنها ما هو في العقائد الإيمانية ، ومنها ما يتقدم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخاً له . وكان النبي ـ ﷺ ـ هو المبين لذلك كما قال تعالى : (..لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ..) ، [٢١٢] فكان ـ ﷺ ـ يبين المجمل ، ويميز الناسخ من المنسوخ ، ويعرفه أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ، فعرفوه ، وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه . وتداول ذلك التابعون من بعدهم ونقل ذلك عنهم . واستمر الأمر على ذلك حتى صارت المعارف علوماً ، ودونت فيها الكتب ، فكُتب الكثير من هذا العلم ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين وقد أتقن هذا العلم الطبري والواقدي والثعالبي وغيرهم من المفسرين ، فكتبوا فيه الكتب ووضعوا عنه المؤلفات . [٢١٣]

وقد اشتهر في هذا العلم من أبناء التجار : أبو الحسن علي الواحدي النيسابوري ت سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م) كان من أولاد التجار من مدينة ساوة ، وعالم عصره في التفسير ، صنف فيه الكتب الثلاثة البسيط ، والوجيز ، والوسيط ، وقد أخذ أبو حامد الغزالي هذه الأسماء برمتها ـ فيما بعد ـ وسمى بها مؤلفاته .[٢١٤]وكان يقول عنه : " من أراد أن يسمع

---

[٢١١] القنوجي : المصدر السابق ١٧٢/٢.

[٢١٢] سورة النحل : من الآية ٤٤.

[٢١٣] ابن خلدون : المقدمة ٩٣٢/٣،٩٣٣.

[٢١٤] ابن تغري بردي :المصدر السابق ١٠٤/٥.

التفسير كأنه من فم رسول الله ـ ﷺ ـ فعليه بتفسير الواحدي " ، في إشارة إلى مكانة الواحدي ومنزلته في علمه ، (٢١٥) وصنف الواحدي ـ أيضاً ـ " أسباب النزول " في مجلد ، و " شرح الأسماء الحسنى " ، (٢١٦) وكتاب " الدعوات والمحصول " ، وكتاب " المغازي " ، وكتاب "الإغراب في الإعراب " ، وكتاب " شرح ديوان المتنبي " ، وكتاب " نفي التحريف عن القرآن الشريف " ، وكتاب " تفسير النبي ﷺ ". (٢١٧) وكذلك أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن متويه الواحدي ت سنة (٤٨٧ هـ/ ١٠٩٤م) وهو أخو الإمام علي الواحدي المفسر والأخير أكبر منه سناً ، وأصلهما من نيسابور ، سمع من الزيادي وابن يوسف ومن بعدهم من أصحاب الأصم ، وعقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي قبل الصلاة يوم الجمعة واستمر في الإملاء عدة سنوات ، ومن دقته في علمه أنه كان يأمر بأن يقرأ عليه أكثر ما أملاه . (٢١٨) ويلاحظ أن هذين الأخوين أخذ العلم عن كليهما . (٢١٩) وأبو عبد الله محمد بن محمود بن القاسم الرشيدي أحد التجار الأثرياء في نيسابور ت سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) كان ابنه أبو المعالي محمود من علماء الأدب واللغة وأمر بأن توقف كتبه بعد وفاته في

---

(٢١٥) الصفدي : الوافي بالوفيات ٢٠/١٠١،١٠٢. تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٥/٢٤٠،٢٤١.

(٢١٦) ابن تغري بردي :النجوم الزاهرة ٥/١٠٤.

(٢١٧) الصفدي : المصدر السابق٢٠/١٠١،١٠٢. تاج الدين السبكي: المصدر السابق ٥/٢٤٠،٢٤١.

(٢١٨) الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٣٤٣.

(٢١٩) الصفدي : المصدر السابق٢٠/١٠١،١٠٢. الذهبي : تاريخ الإسلام ٣١/٢٥٨:٢٦٠. سير أعلام النبلاء ١٨/٣٣٩:٣٤٣.

الجامع المنيعي . (٢٢٠).

كذلك برع من أخوة التجار أبو محمد عبد الله بن الحسن بن زيد الكندي ت سنة (٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)كان أخوه الشيخ تاج الدين تاجراً متميزاً سمع من بعض العلماء وروى عنهم . (٢٢١) وأبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الساوي معروف من أبناء التجار سمع ببلده والري ونيسابور . (٢٢٢) كما تلقي على يديه التعليم عدد من الطلاب (٢٢٣) .

ومهما يكن عليه الأمر ، فإنه يتضح مما سبق عرضه أن العديد من رواد العلم من التجار قد تخصصوا في فنون متنوعة من العلوم ، كالقراءات والتفسير والحديث النبوي الشريف والفقه والتاريخ ..، لكن الملفت للنظر أن تتوجه أنظار غالبيتهم إلى تعلم أنواع العلوم الدينية أو النقلية ، إذ كان من الطبيعي أن تتوجه رغبة الكثير منهم إلى تحصيل العلوم العقلية كالحساب والطب والهندسة .. وغيرها ؛ للإفادة منها في تنمية أموالهم ، أما و إنهم رغبوا في تحصيل تلك العلوم ؛ فلعل ذلك مرده إلي أن رجال هذا العصر نظروا إلى تعلم العلوم النقلية على أنه واجب ديني تفرضه عليهم عبادتهم ،

---

(٢٢٠) السمعاني : الأنساب٣/٦٩.و الجامع المنيعي في نيسابور بناه أبو علي حسان بن سعيد بن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد المخزومي المنيعي ، وكان كثير المال ، بنى غير الجامع مساجد ورباطات ومدارس وسمع الحديث من أبي طاهر الزيادي وأبي بكر بن زيد الصيني وغيرهما. روى عنه أبو المظفر عبد المنعم القشيري وغيره ، ومات بمرو الروذ في ٢٧ ذي القعدة سنة (٤٦٣هـ/١٠٧٠م) . ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ٣/٢٦٥،٢٦٦.

(٢٢١) الصفدي : المصدر السابق ١٧/٧١.

(٢٢٢) الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ، ص ٣٥٠.

(٢٢٣) انظر على سبيل المثال : القزويني : التدوين في أخبار قزوين ١/٣١٨، و ٢/٢٧٨.

إذ لابد لهم من إتباع تعاليم الإسلام من صلاة وصوم وزكاة ...إلخ ، وواجب دنيوي تحتمه عليهم ظروف عملهم بالتجارة ؛لمعرفة الحلال من الحرام في أمور البيع والشراء ، فلقد حرص الإسلام على المال ، والتنبيه على عدم دفعه إلى من لا يحسن التصرف فيه ، قال تعالى : ﴿ ..وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ ..﴾ (٢٢٤) يعني الجهال بالأحكام ؛ ولذلك يقال : لا تدفع مالك إلى وكيل لا يحسن التجارة . وروي عن عمر ــ ﷺ ــ أنه قال : من لم يتفقه فلا يتجر في سوقنا. (٢٢٥)وروي عن علي بن أبي طالب ــ ﷺ ــ أنه أمر تاجراً بالفقه قبل التجارة . (٢٢٦) ولذلك يجب على كل من تصدى للكسب أن يكون عالماً بما يصححه ويفسده ؛ لتقع معاملته صحيحة ، وتصرفاته بعيدة عن الفساد.. (٢٢٧) وهذا ما يوضح سبب مجيء رجل إلى عبد الله بن المبارك فسأله : ما الذي يجب على الناس من تعليم العلم ؟ قال : " أن لا يقدم الرجل على الشيء إلا بعلم ، يسأل ويتعلم " ، وفسر ما يقصده ، فقال : " لو أن رجلاً ليس له مال ، لم يكن عليه واجباً أن يتعلم الزكاة ، فإذا كان له مائتا درهم ، وجب عليه أن يتعلم :كم يخرج ؟ ومتى يخرج ؟ وأين يضع ؟ وسائر الأشياء على هذا " . (٢٢٨)

---

(٢٢٤) سورة النساء : من الآية رقم (٥) .

(٢٢٥) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٢٨/٥ ، تحقيق : هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣م .

(٢٢٦) الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ٦٥/١ ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ١٩٩٦م.

(٢٢٧) سيد سابق : فقه السنة ٤٤/٣،٤٥.

(٢٢٨) الخطيب البغدادي :المصدر السابق٦٥/١.

• ولايتهم بعض الوظائف في الدولة العباسية:

وصل العلماء والتجار إلى بعض الوظائف المهمة في الدولة العباسية ، فمثلاً : أبو الحسن علي بن ابراهيم البزاز ت سنة (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) كان من أعيان التجار وكبير تجار الأقمشة في بغداد تولى النظر في بعض الدور في قصر الخلافة ، سمع قدراً من الحديث من أبي عبيد الله بن شاتيل الدباس وغيره ، وحدث بعلمه ، وسمع منه بعض الطلبة .[٢٢٩]

وأبو الحسن أحمد بن علي بن حمش القاضي ت سنة (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) تولى قضاء الحرمين الشريفين وكان يرسل من مكة إلى نيسابور أموالاً ، لعلها كانت لطلبة العلم على أيدي التجار مستغلاً الحركة الدائمة في التجارة بين بلدان العالم الإسلامي خلال تلك الفترة ، كما أكرم وفادة من دخل مكة من معارفه وأهل بلده وأصدقاؤه ، وعندما عاد إلى نيسابور تولى قضاءها ، وعن حياته العلمية فقد كان له دور كبير في رواية الحديث وأملى عدة سنوات في داره ، وحضر هذه المجالس العديد من طلاب العلم .[٢٣٠]

وأبو القاسم عبد الله بن أحمد بن جالينوس التاجر ت سنة (٤٧٤هـ/١٠٨١م) كان كثير المال،وهو من أعيان التجار،وكانت له صلة بكبار رجال الدولة في عصره ، وربطته علاقة مصاهره بأبي شجاع محمد

---

[٢٢٩] ابن النجار البغدادي : ذيل تاريخ بغداد ٣/٣.

[٢٣٠] الصيرفيني : المصدر السابق ، ص١٠١،١٠٢.

ابن الحسين،[٢٣١] ومؤيد الملك،[٢٣٢] وسعى لكل واحد منهما في الوزارة وبذل في ذلك أموالاً كثيرة حتى تم لهما توليتها. سمع الحسن بن أحمد بن شاذان، ويظن ابن النجار أنه لم يرو عنه شيئاً.[٢٣٣]

كذلك ظهر من أبناء التجار من وصل إلى أعلى الوظائف وخالط الخلفاء، مثل: أبي بكر منصور بن الحسين البغدادي ت سنة (٥٧٥هـ/ ١١٧٩م) كان والده من كبار التجار. نال أبو بكر قسطاً وفيراً من التعليم حيث سمع الكثير من العلماء، ولما توفي والده أسرف في صرف ما لديه من أموال، وخالط كبار رجال عصره وأصحاب المناصب،[٢٣٤] حتى صار من خاصة المستضيء بأمر الله قبل أن يلي الخلافة. وعندما وليها سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) قرّبه وولاّه مشرفاً على المخزن، ثم ولاّه نظر المخزن والوكالة،[٢٣٥] ولما قتل الوزير أبو الفرج فوض إليه المستضيء إدارة كل

---

[٢٣١] تولى أبو شجاع محمد بن الحسين الروذراوري الوزارة للخليفة المقتدى بأمر الله سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) بعد عزل أبو منصور ابن جهيرولقب بـ " ظهير الدين "، وعزل هو عنها في يوم الخميس ١٩صفر سنة (٤٨٤هـ/ ١٠٩١م)، عرف عنه غزارة علمه وثقافته، وقد عُدّ من خيرة علماء عصره، فكان عالماً باللغة العربية،وله العديد من المؤلفات منها: ذيل تجارب الأمم.ابن خلكان: وفيات الأعيان ١٣٤/٥. ابن خلدون: تاريخ ٤٧٥/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب ت.

[٢٣٢] في سنة (٤١٢هـ/ ١٠٢١م) كان الصلح بين مشرف الدولة بن بويه وأخيه سلطان الدولة، على أن يكون العراق جميعه لمشرف الدولة، وكرمان وفارس لسلطان الدولة. فاستوزر مشرف الدولة أبي علي الحسين بن الحسن الرخجي،ولقب بـ "مؤيد الملك".

[٢٣٣] الصفدي: الوافي بالوفيات ٢٠/١٧.

[٢٣٤] الذهبي: سير أعلام النبلاء ٨٤/٢١.

[٢٣٥] المَخْزَنُ ما يُخزن فيه الشيء و الخِزَانةُ واحدة الخَزَائن. المعجم الوسيط ص١٩٦.ولعلهما كانا من المؤسسات الملحقة بقصر الخليفة للقيام بالخدمة عليه.

أمور دواوينه ، وجعله نائباً في الوزارة .واستمر على ذلك حتى توفى المستضيء سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) ، فأقرّه ابنه الخليفة الناصر لدين الله على نظر المخزن فقط ، ويبدو أن البعض وشى به عنده فقبض عليه وسجنه أياماً .[٢٣٦]

حظي هؤلاء القادمون إلى بغداد من العلماء أو التجار بتقدير كبير في عاصمة الخلافة ، فكانوا يدعون إلى حضور الاحتفالات الكبيرة التي تقام و يحضرها الخليفة وكبار رجال الدولة بمناسبة افتتاح إحدى المؤسسات التعليمية .

ففي حفل افتتاح المدرسة المستنصرية التي أمر بإنشائها الخليفة المستنصر بالله سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) ، وأنفق عليها أموالاً طائلة ، حضر الخليفة بنفسه و نصير الدين نائب الوزارة وجميع الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء وشيوخ الربط والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء ، و كان ممن دعي إلى هذا الحفل عدد كبير من أعيان التجار الغرباء ، وقد أقيم الحفل ، وفي نهايته تم مد سماط كبير في صحن المدرسة كان عليه من الشراب والحلوى وأنواع الأطعمة ، " ما يجاوز حد الكثرة " ، فتناوله الحاضرون ثم أفيضت الخلع على المدرسين وشيوخ الربط والمعيدين والشعراء والتجار الغرباء .[٢٣٧] .

---

[٢٣٦] الذهبي : تاريخ الإسلام ١٨٨/٤،١٨٩.

[٢٣٧] ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، ص١٤.

• دور التجار في دعم الحركة العلمية مادياً :

كان للتجار دور في رعاية طلبة العلم من خلال إقراضهم المبالغ المالية للنفقة على أنفسهم في حال حاجتهم لها ، ففي آمل كان يوجد أبو عبد الله الحسين بن محمد الطبري ت سنة (٤١٤هـ/١٠٢٣م)،(٢٣٨) وهو من فقهاء الشافعية ، ودرس في مسجد عبد الله بن المبارك بعد موت أبي حامد الأسفراييني ، حكي أن بعض طلبته اشتكى له قلة الأموال لديه بسبب تأخر ما يصل إليه من نفقة من أبيه ؛ فأخذه وذهب به إلى بعض التجار بقطيعة الربيع(٢٣٩) فاقترض له منه (٥٠) ديناراً . وبعد عدة أيام وصلت إلى الفقيه نفقة من أهله تقدر بـ (٦٠٠) دينار فوفى التاجر بماله .(٢٤٠)

كما كان التجار يعملون على استضافة طلاب العلم لديهم مثل : أبي نصر بن أحمد بن عبد الباقي من أهل بعقوبا ت سنة (٥٤٥هـ/١١٥٠م) ، سافر إلى خراسان ، وأقام بنيسابور يتفقه على محمد ابن يحيى ، وكان يبيت عند بعض التجار .(٢٤١)

كذلك قام بعض العلماء ممن هم ليسوا من أهل التجارة باستضافة هؤلاء التجار في منازلهم ، مثل الفقيه محمد بن أحمد السوبخي المعروف باللؤلؤي ، ت سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) الذي كان عالماً بالحديث فقد كانت داره مكاناً لاجتماع التجار .(٢٤٢).

---

(٢٣٨) كَشفُل : من قرى آمل طبرستان . ياقوت : معجم البلدان ٤/٤٦٢.

(٢٣٩) قطيعة الربيع : سبق التعريف بها من قبل.

(٢٤٠) تاج الدين السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ٤/٣٧٢:٣٧٤. ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٨/١٤.

(٢٤١) تاج الدين السبكي: المصدر السابق ٧/٢٥٨.

(٢٤٢) السمعاني : المصدر السابق٣/٣٣١. و السُوبَخي: هذه النسبة إلى سوبخ، وهي قرية من قرى حرار بنواحي نسف. ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب ٢/١٥٢.

ومن العلماء من كان حريصاً على دعم طلبة العلم ويتولى الإنفاق عليهم من ماله الخاص مثل : الفضل ابن أبي الحسن بن أبي زيد المأمون التاجر ت سنة (٥٣٠هـ/١١٣٥) من علماء آمل ، قدم بغداد مرات وحدث بها ، وكان أحد التجار المعروفين ، وكان مكرماً لأهل العلم منفقاً عليهم ومتقرباً إليهم ، وكان حريصاً على طلب الحديث مكثراً منه ، وقد أنفق الأموال الكثيرة في جمع أصول العلم ، قدم إلى بغداد أكثر من مرة . و سمع بآمل ، ومرو ، ونيسابور ، وأصبهان ، وبغداد، والكوفة ، ومكة. [٢٤٣] وأبي القاسم بن علي الروياني ، وهو من التجار المعروفين بالري ، أنفق ــ أيضاً ــ على طلاب علم الحديث أموالاً كثيرة . [٢٤٤]

وكان عبد الله بن المبارك ينفق أمواله على طلبة العلم ، ويعبر عن وجهة نظره في ذلك بقوله : " إني لا أعرف بعد النبوة أفضل من العلماء ، فإذا اشتغل قلب أحدهم بالحاجة والعيلة لم يتفرغ للعلم ، ولا يُقبِل على تعليم الناس ، فرأيت أن أكفيهم أمر الدنيا ؛ لأفرغهم للعلم ، فهو أفضل " . [٢٤٥]

وحرص هؤلاء التجار على توطيد علاقتهم بالعلماء ، فجعلوا من منازلهم صالوناً أدبياً يستضيفون فيه رجال العلم ، إذ يذكر الخطيب البغدادي في ترجمة : أبي عبد الله جرير بن عبد الحميد الضبي الرازي ت سنة (١٨٧هـ/٨٠٢م) بأنه ممن سافر إلى مرو وغيرها ، وأنه قدم الري عقب موت شعبة ومعه أبو داود الطيالسي ، وحمل معه أصل كتابه الذي كتبه عن

---

[٢٤٣] ابن النجار البغدادي : المصدر السابق ١٥٨/٥.

[٢٤٤] الذهبي : المصدر السابق ٦٠/٣٠،٦١.

[٢٤٥] أبو العباس الفاسي : البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ٣٥٧/١ ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .

شعبة ، فكان جرير الضبي يجالسهما ويتناقش معهما في الأمور العلمية عند رجل من التجار كانت له صحبة به . (٢٤٦)

الخلافات المذهبية وأثرها على أموال التجار:

كانت أراضي الدولة العباسية ميداناً لظهور العديد من العصبيات المذهبية ، فعلى سبيل المثال كان الخلفاء في عصر نفوذ الأتراك (٢٣٢-٣٣٤هـ / ٨٤٧ -٩٤٦م) على مذهب أهل السنة ، والأتراك أنفسهم سنة ، والفرس شيعة ، والحمدانيين شيعة ، والعرب بين سني وشيعي . (٢٤٧)

شهد هذا العصر كذلك وجود المذاهب الفقهية من مالكية وأحناف وحنابلة وغير ذلك ، وكان لكل مذهب من هذه المذاهب أنصار وتابعون . وهذا التنوع المذهبي الذي شهدته بلاد العالم الإسلامي لم تكن تعرفه أوروبا في العصور الوسطى .

وعلى الرغم من الثراء الفكري الذي أوجدته هذه العصبيات ، والذي كان من مظاهره نشأة علم مقارنة الأديان أي دراسة الملل والنحل على اختلافها ، والإقبال على دراسة هذا العلم بشغف كبير . (٢٤٨) إلا أنه كان لكل مذهب أعوان يغالون في التعصب لمذهبهم ؛ مما ترتب عليه حدوث بعض الاضطرابات في الأوضاع الداخلية . ولاشك أن أعمال العنف هذه تركت أثراً سيئاً على بعض النواحي في الدولة ، منها ما يستتبع هذه الاضطرابات

(٢٤٦) الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢٥٦/٧.

(٢٤٧) أحمد أمين : ظهر الإسلام ٧٤/١..

(٢٤٨) آدم متز : الحضارة الإسلامية ٦٩/١.

من إلحاق الضرر بأموال التجار .[٢٤٩] ففي سنة (٣٤٥هـ/٩٥٦م) حدثت فتنة في أصبهان بين أهلها وبين أهل قُم بسبب المذاهب الفقهية ، فثار الأصبهانيون وأحدثوا شغباً واضطراباً ، وقاموا بنهب أموال التجار من أهل قُم ، وعندما علم ركن الدولة بن بويه بذلك قام بفرض غرامة مالية كبيرة على أهلها.[٢٥٠]

---

[٢٤٩] انظر عن بعض هذه الأحداث في : ابن كثير : البداية والنهاية١١/ ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٦٦ ،٢٦٣ ، ٢٦٨ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ . و١٢/٣٩ ، ٦١ ، ٧٠ ، ١٢٠ ، ١٤٣ ، ١٩٩ . و١٣/ ٢٣.

[٢٥٠] ابن الأثير :الكامل في التاريخ ٢٥٧/٧ . ابن كثير : المصدر السابق ٢٦١/١١.

النتائج :

يستنتج مما سبق عدة أمور يمكن إجمالها في النقاط التالية :

(١) ــ أدرك بعض الناس ما تدعو إليه عقيدتهم ، فعرفوا أن الإسلام يحث على العلم والعمل معاً . قال تعالى:(لَيسَ عَلَيكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ ..) ،[٢٥١] والمقصود بالفضل هو التجارة،[٢٥٢] والنبي ــ ﷺ ــ سافر في تجارة للسيدة خديجة مع غلامها ميسرة ، وأكرمه الله عز وجل بالربح الوفير . [٢٥٣] كما كان الصحابة يتاجرون ويخرجون في طلب الرزق . فعبد الله بن عمر ــ ﷺ ــ كان يقوم بالبيع والشراء ، وهكذا كان أصحاب رسول الله ــ ﷺ ــ ما بين تاجر ومزارع ، وهاتين الحرفتين هما وسيلتا الإنتاج والكسب ، فالزراعة فيها كل البركة ، وكان أكثر عمل الأنصار بها ، والتاجر الصدوق مع الأنبياء والصديقين يوم القيامة . فعلى ذلك لا بأس بأن يعمل العالم أو غيره في التجارة ؛[٢٥٤] بل حث الإسلام على السفر الذي يكون للتجارة والكسب الزائد على القوت ، أو لطلب العلم وكلاهما مطلب ديني .[٢٥٥] .

---

[٢٥١] سورة البقرة : من الآية رقم (١٩٨) .

[٢٥٢] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٣٤٩/٥ .

[٢٥٣] ابن هشام : السيرة النبوية ٦/٢ ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٠م .

[٢٥٤] عبد الرحمن بن قدامه : الشرح الكبير ٣٦٧/١٢ ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت ، ب ت .

[٢٥٥] القرطبي : المصدر السابق ٣٤٩/٥:٣٥١ .

وقد نهى العلماء والحكماء عن أن يكون الرجل لا حرفة له ولا صناعة ؛ خشية أن يحتاج إلى الناس فيذل لهم ، ورأوا أن العيش من العمل بالصناعات أولى بنزاهة الأخلاق من العيش من الهبات والصدقات وما شابهها ، وفي هذا غنى عن أن يتطلع إلى ما في أيدي الناس ، أو ينتظر نظرة الناس إليه بعين الرحمة لفقره . قال ابن بطال : " ولأن تستغن عن الناس تكن أميراً في نفسك " .[٢٥٦] قال القرطبي : إن " تعلم أهل الفضل الصنائع والتحرف بها لا ينقص من مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضائلهم ؛ إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم ، وكسب الحلال الخالي عن الامتنان " .[٢٥٧]

روى عن لقمان أنه قال لابنه : " يا بني ، خذ من الدنيا بلاغك ، وأنفق من كسبك لآخرتك ، ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون عيالاً ، وعلى أعناق الرجال كلاً " . وروى عن حماد بن زيد أنه قال : كنت عند الأوزاعي فحدثه شيخ كان عنده أن عيسى بن مريم - عليه السلام - قال : " إن الله يحب العبد يتعلم المهنة يستغنى بها عن الناس ، وإن الله تعالى يبغض العبد يتعلم العلم يتخذه مهنة ". وقال أبو قلابة لأيوب السختياني : " إني يا أيوب ألزم السوق؛ فإن الغنى من العافية " .[٢٥٨]

وقد كان كثير من الأنبياء يزاولون الأعمال فنبي الله آدم عليه السلام كان يعمل بالزراعة ، ونوح عليه السلام بالنجارة ، وداود عليه السلام بالحدادة ، وموسى عليه السلام بالكتابة حيث كان يكتب التوراة بيده ، وكل منهم قد رعى الغنم .[٢٥٩]

---

[٢٥٦] ابن بطال : شرح صحيح البخاري ١٩٠/٦، ط مكتبة الرشد ، الرياض ، السعودية ، ٢٠٠٣م.

[٢٥٧] القرطبي : المصدر السابق ٢٦٧/١٤.

[٢٥٨] ابن بطال : المصدر السابق ١٩٠/٦.

[٢٥٩] المناوي : فيض القدير ٧١٢/٤ ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٤م .

ولقمان خياطاً ، وطالوت دباغاً. وقيل : سقاءً .[٢٦٠] ومعلوم أن الإمام أبا حنيفة رحمه الله كان يتاجر في الأقمشة .[٢٦١]

جاء في بعض الآثار أن تسعة أعشار الرزق في التجارة .[٢٦٢] وروي عن الحسن بن الهيثم البزاز أنه قال ، قلت لأحمد بن حنبل : " يا أبا عبد الله إني أطلب الحديث ، وإن أمي تمنعني من ذلك تريد مني أن اشتغل في التجارة ؟ فقال لي:" دارِها وأرضِها ولا تدع الطلب ".[٢٦٣]

ويقول ابن حجر : " أن الطالب لا يغفل عن النظر في أمر معاشه ؛ ليستعين على طلب العلم وغيره مع أخذه بالحزم في السؤال عما يفوته يوم غيبته " .[٢٦٤]ولا يخفى أن البحث عن الرزق ؛ بسبب قلة الموارد التي تلبي حاجات الإنسان ، تجعله قادراً على تهيئة النفس ، وتفريغ الذهن بطلب العلم ، وتتطلب في ذات الوقت جهداً لابد أن يبذل في هذا السبيل ، للحصول على المال اللازم .

كذلك حث الإسلام ـ أيضاً ـ على طلب العلم ، قال تعالى : ﴿ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ ،[٢٦٥] والمقصود من ذلك الرزق أو طلب العلم ..أو غير ذلك .[٢٦٦] قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (طلب العلم فريضة

---

[٢٦٠] القرطبي : المصدر السابق ٣٢١/١١.

[٢٦١] ابن بطال : المصدر السابق ١٩٠/٦.

[٢٦٢] عبد الرحمن بن قدامه : المصدر السابق ٣٦٧/١٢.

[٢٦٣] الخطيب البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي ٢٢٨/٢ ، تحقيق : د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، ١٩٨٢م .

[٢٦٤] الخطيب البغدادي : الفقيه والمتفقه ٤٤٧/١.

[٢٦٥] سورة الجمعة : من الآية رقم (١٠) .

[٢٦٦] النسفي : تفسير النسفي ٢٠١/٤ ، ط دار النفائس ، بيروت ، ٢٠٠٥م.

على كل مسلم ومسلمة). [٢٦٧]وعن ابن عباس ـــ ﷺ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : " فضل العلم أفضل من العبادة ، وملاك الدين الورع " . [٢٦٨]

قال أبو هلال العسكري " من يقدر على حفظ العلم والأدب وهو مقصر فيه ؛ فليس بإنسان كامل ، والكامل من الناس من عرف فضل العلم ، ثم إن قدر عليه طلبه " . [٢٦٩]

وقال ابن حزم : " لو لم يكن من فضل العلم إلا أن الجهال يهابونك ويحبونك ، وأن العلماء يحبونك ويكرمونك ؛ لكان ذلك سبباً إلى وجوب طلبه ، فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة ؟ ولو لم يكن من نقص الجهل إلا أن صاحبه يحسد العلماء ويعبد نظراؤه من الجهال لكان ذلك سبباً إلى وجوب الفرار عنه،فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة .." ؟ [٢٧٠]

كما أدرك الناس في هذا العصر بأن العلم خير ميراث ؛ فحرصوا على تعليم أبنائهم تعاليم دينهم وعلومه ، و العلماء تركوا لنا نتاجهم الفكري والثقافي مكتوباً مصنفاً ، فاستفادت منه البشرية جمعاء .

(٢) ـ ظهرت في هذا العصر حركة تجارية عالمية مزدهرة كانت أراضي الدولة العباسية هي الوسيط في مرورها من بلاد الهند والصين إلى بلاد أوروبا . بالإضافة إلى حركة تجارية محلية دائمة لا تنقطع بين بلاد

---

[٢٦٧] الطبراني : المعجم الأوسط ٢٤٥/٤ ، تحقيق : طارق عوض الله ، ط دار الحرمين ، القاهرة ، ١٩٩٤م.

[٢٦٨] الطبراني : المعجم الكبير ٣٨/١١.

[٢٦٩] أبو هلال العسكري :الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ، ص٨٢ ، تحقيق : د/مروان قباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٦م .

[٢٧٠] ابن حزم: رسائل ابن حزم الأندلسي ٣٤٣/١ ، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠م .

المشرق الإسلامي وبغداد ، أو بين بلاد المشرق والمغرب الإسلامي ، ساعد على وجود ذلك ما كفلته الخلافة العباسية من حرية الحركة والتنقل للجميع ، مما ترتب عليه تكاملاً في المجال الاقتصادي ، وصلوا فيه إلى المستوى الذي بلغته الدول الأوروبية المتقدمة في العصر الحاضر . بالإضافة إلى التكامل الفكري والثقافي ، " في وقت كان فيه قادة أوروبا لا يستطيعون حتى كتابة أسمائهم " كما يشير أنتوني ناتنج لذلك .[٢٧١] وحتى عندما ضعفت الخلافة العباسية في بغداد ظهرت مراكز علمية وثقافية أخرى تنافسها في البلاد الإسلامية المستقلة في المشرق ، ومثلت عنصر تكامل لها ؛ بعد تشجيع أمراء وحكام هذه الولايات ، إما بسبب حبهم للعلم والتعليم . أو رغبة في المفاخرة بهؤلاء العلماء الذين كان وجودهم مظهراً من مظاهر تقدم هذه الدول .

(٣) ـ سماحة الدين الإسلامي تجلت في تقبل أبناء الحضارات الأخرى ، فنجد هذه الحركة الثقافية والفكرية قد اشترك في صناعتها كل أبناء العالم الإسلامي من عرب وفرس وترك ..وغيرهم ، ومن كل البلدان في الشرق والغرب ، فأوجد ذلك مزجاً ثقافياً بين الجميع .

وثمة ملاحظة جديرة بالتسجيل ، ذكرها د/ سعيد عاشور ، هي ما حاوله بعض المغرضين من الانتقاص من قدر العنصر العربي في الحضارة الإسلامية ، على أساس الادعاء بأن كثيراً من أعلام تلك الحضارة ليسوا من أصل عربي ، وإنما يرجعون إلى أصول فارسية وتركية ...، فهذا وهم ! فإنه إذا كان بعض أعلام الحضارة العربية الإسلامية تجري في

---

[٢٧١] أنتوني ناتنج : العرب تاريخ وحضارة ١/١١٩، ترجمة : محمود مسعود ، ط دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٨٠م .

عروقهم دماء غير عربية ؛ إلا أنه من المهم ملاحظة أن هؤلاء الأعلام من العلماء نضجوا ونبغوا وأنتجوا خلاصة فكرهم في ظل رعاية الحكام العرب ، وفي ظل الدولة العربية الإسلامية . هذا فضلاً عن أنهم دونوا ثمرة خبرتهم وخلاصة فكرهم باللغة العربية ؛ فهم بذلك ليسوا إلا نتاجاً للحضارة العربية ، ومظهراً قوياً من أهم مظاهرها ، وإلا فبماذا نعلل عدم ظهور هذا الحشد من علماء الفرس والأتراك ؟ إلا بعد أن أصبحت هذه البلاد تستظل بظل الحكومة العربية الإسلامية ، وتتأثر بما ساد الدول العربية الإسلامية من تيارات فكرية وحضارية ، وبما تلقوه من تعليم على أيدي علمائها وشيوخها ، فكان الرحيل إليهم في مواطنهم للنهل من علمهم . (٢٧٢)

يضاف إلى ذلك أن هذه الحضارة في بداية نشأتها قامت في بلاد العرب ، و يقول المستشرق هِل : " يجب ..ألا نبخس قيمة الأثر الكبير الذي تركته العقلية العربية في الحضارة الإسلامية " ، ثم يقول في موضع آخر : " ينبغي ألا ننسى أن العرب هم الذين أثاروا في تلك الأمم من جديد الشوق إلى المعرفة ، وأتاحوا لها الفرص لإرضاء هذا الشوق المتجدد . وكذلك يجب ألا ننسى أن دولة عربية هي التي رعت الحضارة والثقافة بشكل رسمي ، وبذلت جهدها لإحياء العلوم والسير بها إلى الأمام " . (٢٧٣)

(٤) ــ إن الامتزاج الثقافي الذي حدث خلال هذا العصر تجلى أثره ــ على سبيل المثال ــ في اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، التي كانت لديها المقدرة والكفاءة على استيعاب مضمون هذه الثقافات التي أمدت العربية

---

(٢٧٢) د/ سعيد عاشور : المدنية الإسلامية وأثرها على الحضارة الأوروبية ، ص ٢٠ ، الطبعة الثانية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٨٢م.

(٢٧٣) هل : الحضارة العربية ، ص١١٢، ترجمة : د/ إبراهيم العدوي ، ط دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٩م.

بالعديد من الألفاظ الدخيلة عليها . في الوقت الذي كان فيه لأبناء تلك الشعوب دور في نشر اللغة العربية ؛ فأصبحت أداة عالمية للفكر والتعبير في ذلك العصر ؛ بل ولغة العالم المتحضر والراقي .

ومما يدل على حرص أبناء بلاد المشرق على إتقان اللغة اتقاناً تاما ، ما حدث عندما كان الشيخ الرئيس ابن سينا (٢٧٤)جالساً بين يدي الأمير علاء الدولة بن كاكويه أمير أصفهان (٢٧٥)فجرى نقاش في بعض مسائل اللغة تكلم ابن سينا فيه بما حضره من معلومات ، وكان يحضر تلك المناقشة عالم يسمى أبو منصور الجبان ، فالتفت أبو منصور إلى ابن سينا قائلاً له : يقال إنك فيلسوف وحكيم ولكن لَمْ تقرأ من اللغة ما يُرضَي من كلامك فيها ؛ فاستاء ابن سينا من هذا الكلام . وأخذ يعمل في قراءة ودراسة كتب اللغة مدة ثلاث سنوات متصلة ، جلب خلالها كتب تهذيب اللغة التي صنفها أبو منصور الأزهري من بلاد خراسان ، حتى بلغ في علوم اللغة طبقة قلما يصلها أحد . فقد أنشأ ثلاث قصائد ضمنها ألفاظاً غريبة في اللغة ، وكتب فيها ثلاثة كتب ، وأمر بتجليدها ، ثم طلب من الأمير علاء الدولة أن يعرض تلك الكتب على أبي منصور الجبان ، وذكر له أنه وجدها في الصحراء عند خروجه للصيد ، وطلب منه أن يبدى رأيه فيها ، فأخذ أبو منصور هذه الكتب وقرأها ، فعسر عليه فهم كثير مما فيها .فالتفت إليه ابن سينا ، وقال له كل ما تجهله من مسائل في هذا الكتاب فهو مذكور في

---

(٢٧٤) لقب بالشيخ الرئيس ؛ لأنه جمع بين العلم والوزارة .

(٢٧٥) تنسب هذه الأسرة إلى أبي جعفر بن دشمنزيار ، وإنما قيل كاكويه ؛ لأنه كان ابن خال والدة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه . وكاكويه هو الخال بالفارسية .ابن الأثير : الكامل ٤٩/٨ . وقال في موضع آخر أنه ابن خال مجد الدولة بن بويه ٤٩/٨ . وقد حكمت هذه الأسرة أصبهان وهمذان . زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة ، ص٣٢٨.

الموضع الفلاني من كتب اللغة . فانتبه أبو منصور إلى أن تلك المؤلفات من تصنيف ابن سينا ، وأن الذي دفعه إلى دراسة هذه اللغة وإنتاج ما بين يديه من مؤلفات هو ما واجهه به من ضعفه في اللغة منذ ثلاث سنوات ، فاعتذر له .[٢٧٦]

(٥) ــ من المنطقي أن أصحاب الفكر والثقافة لا تظهر إبداعاتهم وخلاصة أفكارهم إلى حيز الوجود إلا في ظل ظروف معينة من توافر للحرية ، واطلاع على أفكار الآخرين ، والانفتاح عليهم ؛ لكن الملفت للنظر أنه برغم التشرذم والاضطراب السياسي خلال ذلك العصر ، فقد ظهرت نهضة فكرية وثقافية عظيمة . وهذا يشير إلى أن الحياة السياسية لا يصح جعلها مقياساً للحياة الفكرية والثقافية . فالأوضاع السياسية المضطربة قد تكون دافعاً لدى البعض للانكباب على العلم والدرس بعيداً عن السياسة وتقلباتها ؛حتى يجنب نفسه شرور ذلك .

❁❁❁❁❁❁

---

[٢٧٦] القفطي : إخبار العلماء بأخبار الحكماء ١/١٨١.

• قائمة المصادر والمراجع[٢٧٧]:

أولاً : المصادر:

* ابن الأثير(أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد ت ٦٣٠ هـ-١٢٣٢م):

(١)الكامل في التاريخ،تحقيق:عبد الله القاضي،الطبعة الثانية،دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٤م.

(٢) اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ،١٩٨٠م .

* الأصبهاني (أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد ت٤٣٠هـ /١٠٣٨م) :

(٣) أخبار أصبهان ، بيروت ، ب ت .

*الاصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ت ٣٤٦هـ/٩٥٧م) :

(٤) المسالك الممالك ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

* ابن بطال(أبو الحسن علي بن خلف ت ٤٤٩ هـ / ١٠٥٧ م) :

(٥) شرح صحيح البخاري،الطبعة الثانية،مكتبة الرشد،السعودية،٢٠٠٣م.

* البغدادي (أبو بكر محمد بن عبد الغني ت ٦٢٩ هـ/١٢٣١م) :

(٦) التقييد لمعرفة رواة السنن و المسانيد،تحقيق :كمال يوسف الحوت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٨٧م

* البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد ت٤٨٧ هـ /١٠٩٤ م) :

(٧) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع،تحقيق:مصطفى السقا ،الطبعة الثالثة ، عالم الكتب ، بيروت،١٩٨٢م.

* ابن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف ت ٨٧٤ هـ/ ١٤٦٩م) :

(٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، مختلفة الطبع .

* الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ت٢٥٥ هـ / ٨٦٩ م) :

(٩) التبصرة بالتجارة ، بيروت ، ب ت .

---

[٢٧٧] رتبت هذه المصادر هجائياً مع استبعاد (ابن) ، و (أبو) ، و (أل) .

* الجرجاني (أبو القاسم حمزة بن يوسف ت ٤٢٧ هـ/١٠٣٥م) :
(١٠) تاريخ جرجان،تحقيق:د/ محمد عبد المعيد خان،الطبعة الثالثة،عالم الكتب، بيروت ،١٩٨١م .
* ابن جماعة (بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ت سنة ٧٣٣هـ/١٣٣٢م) :
(١١) المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي ، تحقيق : د/ محيي الدين عبد الرحمن رمضان ، الطبعة الثانية ، دار الفكر ، دمشق ، ١٩٨٥م .
* ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ت ٥٩٧/ ١٢٠١م) :
(١٢) صفة الصفوة ، الطبعة الثانية ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٧٩م .
(١٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، الطبعة الأولى،دار صادر،بيروت،ب ت .
* الحاكم النيسابوري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٥م):
(١٤) المستدرك على الصحيحين ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ،بيروت ،١٩٩٠م.
* ابن حجر العسقلاني (أحمد بن علي بن محمد ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) :
(١٥) تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ب ت .
(١٦) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، الطبعة الأولى ، دار البشائر ، بيروت ، ١٩٩٦م .
(١٧) لسان الميزان،الطبعة الثالثة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،١٩٨٦م .
* ابن حزم الأندلسي (علي بن أحمد بن سعيد ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):
(١٨) رسائل ابن حزم،تحقيق:إحسان عباس،الطبعة الأولى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،١٩٨٠م .
* الحِميري (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت ٩٠٠ هـ /١٤٩٥م) :
(١٩) الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق: إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ،١٩٨٠م.

* أبو حيّان الأندلسي(أثير الدين محمد بن يوسف بن علي ت٧٤٥هـ/١٣٤٤م) :
(٢٠) تفسيره للقرآن الكريم،المعروف بـ " البحر المحيط "،الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠١م.
* الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي ت سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٢ م) :
(٢١) تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب ت .
(٢٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق : د/ محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ،١٩٨٢م .
(٢٣) الفقيه والمتفقه ، تحقيق : عادل يوسف العزازي ، دار ابن الجوزي ، السعودية ، ١٩٩٦م.
* ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م) :
(٢٤) تاريخه المعروف بـ " العبر وديوان المبتدأ والخبر " ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ب ت .
(٢٥)المقدمة،تحقيق: د/علي عبد الواحد وافي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م .
* ابن خلكان (شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢م) :
(٢٦) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ،١٩٠٠: ١٩٩٤م .
* ابن الدمياطي (أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسامي ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨م) :
(٢٧) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٧م.
* الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) :
(٢٨) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق: د/ عمر عبد السلام تدمري ، الطبعة الأولى ، دارالكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٨٧م.

(٢٩) تذكرة الحفاظ،تحقيق:زكريا عميرات،الطبعة الأولى،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٨م .
(٣٠) سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط،و حسين الأسد ، الطبعة التاسعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت،١٩٩٣م.
(٣١) العبر في خبر من غبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ب ت .
(٣٢) مختصر تاريخ ابن الدبيثي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.
(٣٣) معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،تحقيق:بشار عواد معروف وآخرين ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٣م.
(٣٤) ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق : علي محمد البجاوي،دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، ب ت .
* الزَّبيدي (أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق ت ١٢٠٥ هـ /١٧٩٠م) :
(٣٥) تاج العروس من جواهر القاموس ، دار الهداية ، بيروت ، ب ت .
* السبكي (تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م) :
(٣٦) طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د/محمود محمد الطناحي،وعبد الفتاح محمد الحلو ، الطبعة الثانية ،بيروت ، ١٩٩٢م .
* ابن سعد (أبو عبدالله محمد بن سعد بن منيع البصري ت ١٦٨ هـ /٧٨٥ م):
(٣٧) الطبقات الكبرى ، دار صادر ، بيروت ، ب ت .
* السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور ت ٥٦٢ هـ /١١٦٦م) :
(٣٨) الأنساب ، الطبعة الأولى ، دار الجنان ، بيروت ، ١٩٨٨ م .
(٣٩) التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق : منيرة ناجي سالم ، بغداد ، ١٩٧٥م.
* ابن سيده (أبو الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨ هـ / ١٠٦٦م) :
(٤٠) المخصص ، تحقيق : خليل إبراهيم جفال ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٩٦م.

* السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١ هـ/ ١٥٠٥م) :
(٤١) إتمام الدراية لقراء النقاية ، تحقيق : إبراهيم العجوز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م.
(٤٢) تاريخ الخلفاء ، دار الثقافة ، بيروت ، ب ت .
* الصفدي (صلاح الدين خليل بن أيبك ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م) :
(٤٣) الوافي بالوفيات ، تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ٢٠٠٠م.
* ابن الصلاح (تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن ت ٦٤٣هـ /١٢٤٥م) :
(٤٤) طبقات الفقهاء الشافعية ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ،١٩٩٢م .
* الصيرفيني (تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ت٦٤١هـ/١٢٤٣م) :
(٤٥) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور،تحقيق:خالد حيدر،دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت ،١٩٩٣م.
* الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب ت٣٦٠هـ/ ٩٧١م) :
(٤٦) المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، الطبعة الثانية ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ،١٩٨٣م .
* ابن العديم (كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) :
(٤٧) بغية الطلب في تاريخ حلب ، بيروت ، ب ت .
* ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ت ٥٧١ هـ /١١٧٥م) :
(٤٨) تاريخ دمشق،تحقيق:علي شيري،الطبعة الأولى،دار الفكر،بيروت،١٩٩٨م.
* الغزي (تقي الدين بن عبد القادر التميمي ت ١٠٠٥هـ/١٥٩٦م) :
(٤٩) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، بيروت ، ب ت .

* الفاسي (أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي ت ١٢٢٤ هـ/١٨٠٩ م) :
(٥٠) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م .
* الفراء (أبو الحسين محمد بن الحسين بن أبي يعلى ت ٥٢٦هـ/ ١١٣١م) :
(٥١) طبقات الحنابلة،تحقيق:محمد حامد الفقي،دار المعرفة ، بيروت ، ب ت .
* ابن الفقيه الهمذاني (أبو بكر أحمد بن محمد بن أسحاق بن ابراهيم من علماء القرن ٣هـ / ٩م) :
(٥٢) مختصر كتاب البلدان ، ط ليدن ، ١٨٨٥م .
* ابن الفوطي (عبد الرزاق بن أحمد بن محمد ت ٧٢٣هـ/ ١٣٢٣ م) :
(٥٣) الحوادث الجامعة والتجارب النافعة ، بغداد ، ب ت .
* ابن قدامة المقدسي (شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن ت٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م):
(٥٤) الشرح الكبير على متن المقنع،دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع،بيروت ، ب ت.
* القرطبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر ت٦٧١ هـ/١٢٧٢م) :
(٥٥) الجامع لأحكام القرآن ، تحقيق: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٣ م .
* القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ت ٦٨٢ هـ/١٢٣٨م) :
(٥٦) آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ب ت .
* القزويني (عبد الكريم بن محمد الرافعي ت ٦٢٢هـ/١٢٢٥م) :
(٥٧) التدوين في أخبار قزوين ، تحقيق : عزيز الله العطاري،دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٨٧م .
* القفطي (أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف ت ٦٤٦ هـ / ١٢٤٨ م) :
(٥٨) إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، بيروت ، ب ت .

* ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) :
(٥٩) البداية والنهاية ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٨٨م.
* ابن ماكولا (سعد الملك علي بن هبة الله بن علي ت ٤٧٥ هـ / ١٠٨٢ م) :
(٦٠) إكمال الكمال المعروف بـ " الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب " ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ب ت .
* ابن المستوفي الإربلي(شرف الدين أبو البركات المبارك ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م):
(٦١) تاريخ إربل،تحقيق :سامي الصقار،وزارة الثقافة والإعلام، العراق١٩٨٠م.
* المقدسي (محمد بن أحمد بن أبي بكر توفى في حدود سنة ٤١٤هـ/١٠٢٣م):
(٦٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق : غازي طليمات ، ط وزارة الثقافة والإرشـــاد القومي ، دمشق ،١٩٨٠م.
* ابن النجار البغدادي(محب الدين أبو عبد الله محمد ت٦٤٣ هـ/١٢٤٥م):
(٦٣) ذيل تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٩٩٧م.
* النسفي (أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ت سنة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م) :
(٦٤)تفسيره للقرآن الكريم المعروف بـــ " تفسير النسفى" ،دار النفائس،بيروت، ٢٠٠٥م.
* ابن هشام(أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري ت٢١٣هـ/٨٢٨م):
(٦٥) السيرة النبوية،تحقيق:طه عبد الرءوف سعد ، دار الجيل،بيروت، ١٩٩٠م
* أبو هلال العسكري (الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد ت٣٩٠هـ/٩٩٩م):
(٦٦) الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،تحقيق:د/مروان قباني،المكتب الإسلامي،بيروت، ١٩٨٦م.
* ابن الوردي (زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر ت٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م):

(٦٧) خريدة العجائب وفريدة الغرائب ، القاهرة ، ب ت .

* ياقوت (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي ت٦٢٦ هـ/١٢٢٩م):

(٦٨) معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، ب ت .

* اليعقوبي (أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح توفى بعد سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م) :

(٦٩) كتاب البلدان ، ط ليدن ، ١٨٩٠م .

ثانياً: المراجع:

* أحمد أمين :

(٧٠) ظهر الإسلام ، ج٢ ، الطبعة الخامسة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٧٧م.

* آدم متز :

(٧١) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة:محمد عبد الهادي أبو ريدة،الهيئة المصرية العامة للكتاب،٢٠٠٣: ٢٠٠٨م.

* إدوارد فنديك :

(٧٢) كتاب اكتفاء القنوع بما هو مطبوع،دار صادر، بيروت،١٨٩٦م .

* اغناطيوس كراتشكوفسكي :

(٧٣) تاريخ الأدب الجغرافي ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ،١٩٥٧م.

* أنتوني ناتنج :

(٧٤)العرب تاريخ وحضارة،ترجمة:محمود مسعود،ط دار الهلال،١٩٨٠م

* حاجي خليفة :

(٧٥) كشف الظنون ، القاهرة ، ب ت .

* زامباور :

(٧٦) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، ترجمة :

د/ زكـي محمـد حسن وآخـرين ، ط دار الرائـد العربـي ، بيـروت ، ١٩٨٠م.

* سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور) :

(٧٧) المدنية الإسلامية وأثرهـا علـى الحـضارة الأوروبية،الطبعـة الثانيـة، مكتبة الأنجلو،القاهرة،١٩٨٢م.

* صديق حسن القنوجي :

(٧٨) أبجد العلوم المعروف بـ "الوشي المرقـوم فـي بيـان أحـوال العلـوم "، تحقيق : عبد الجبار زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م.

* كي لسترانج :

(٧٩) بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة : بـشير فرنـسيس وكـوركيس عـواد ، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ١٩٨٥م.

* محمد الطاهر بن عاشور :

(٨٠) تفـسيره للقـرآن الكريم،المعـروف بــ " التحريـر والتنـوير " ، ط دار سحنون للنشر والتوزيع ،تونس ،١٩٩٧م.

* محمد بن جعفر الكتاني :

(٨١) الرسالة المـستطرفة لبيـان مـشهور كتـب الـسنة المـصنفة ،الطبعـة الرابعة،دار البشائر الإسلامية ، بيروت ،١٩٨٦م.

* محمد جمال الدين سرور (دكتور) :

(٨٢) تاريخ الحضارة الإسلامية في الـشرق ، دار الفكـر العربـي ، القـاهرة ، ب ت .

* هايد :

(٨٣) تاريخ التجارة في الشرق الأدنى فـي العـصور الوسـطى،ترجمة :أحمـد محمد رضا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م.

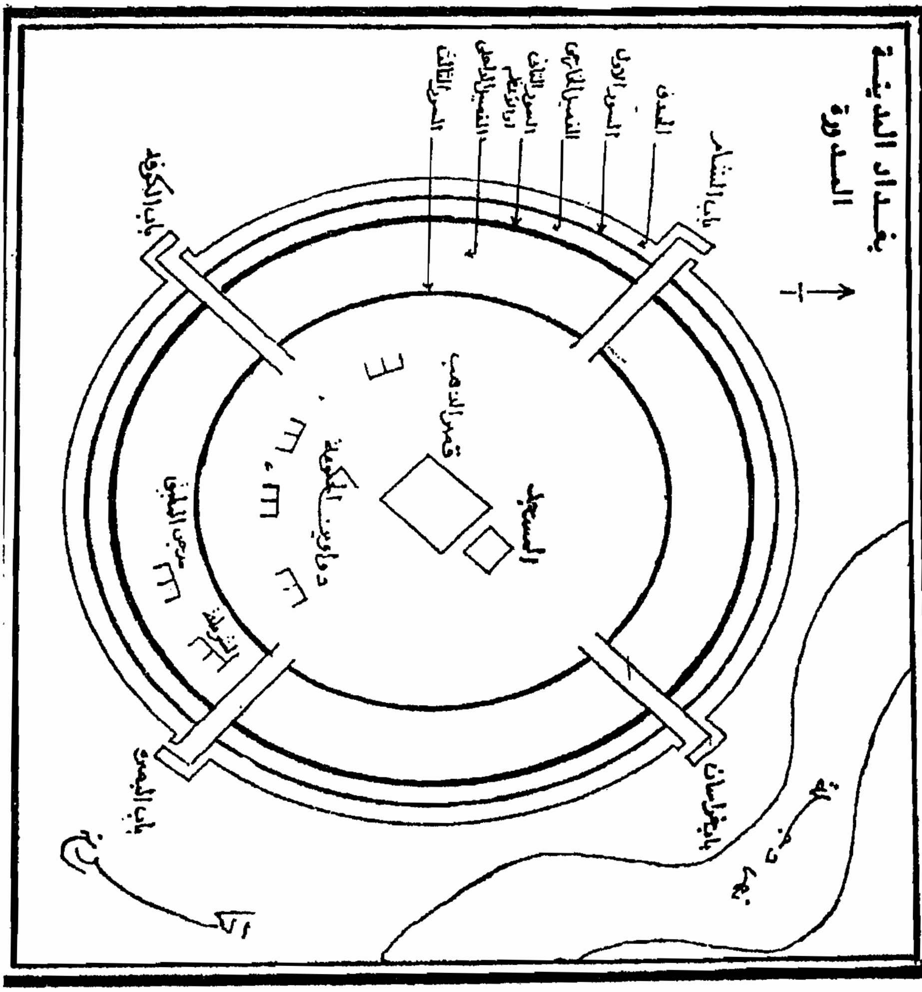
* ول ديورانت :

(٨٤) قصة الحضارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

* ى هل :

(٨٥) الحضارة العربية،ترجمة:د/إبراهيم العدوي،ط دار الهلال،القاهرة،١٩٧٩م.

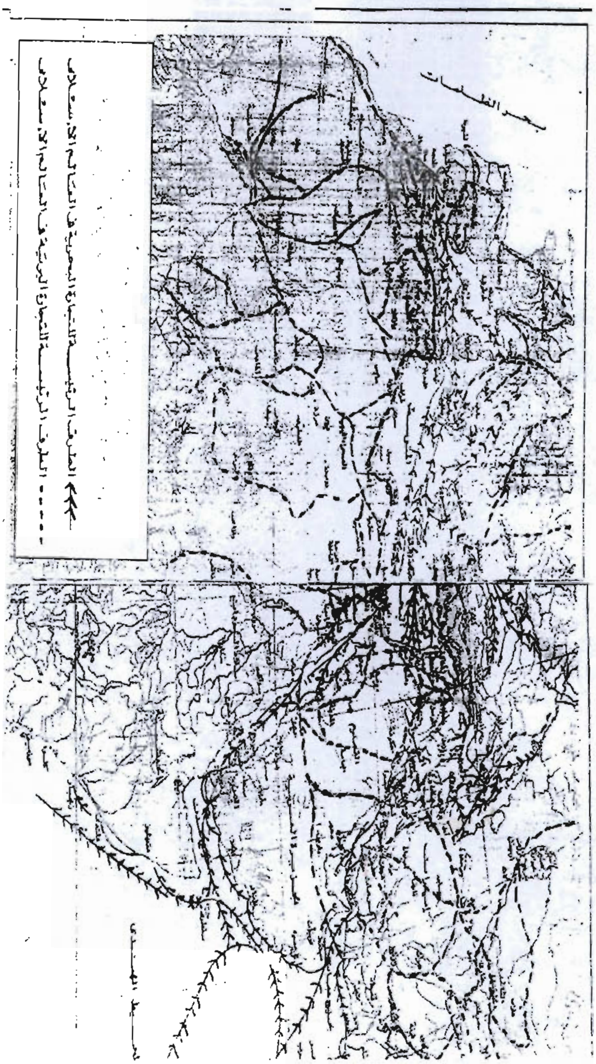
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



شكل رقم (١)

رسم تخطيطي لمدينة بغداد

نقلاً عن : د/ أحمد مختار العبادي : في التاريخ العباسي والفاطمي ، ص ٢١٧. دار النهضة العربية ، بيروت ، ب ت .



شكل رقم (٢)

خريطة توضح أهم الطرق البرية والبحرية في العصر العباسي ، نقلاً عن : د/ حسين مؤنس : أطلس تاريخ الإسلام ، ص ٣٨٦ ،٣٨٧ .مع إضافة بعض التعديلات .